الى القارئ

الكتاب التونسي

إن وضع الكتاب التونسي لم يزل منذ سنوات محورا للنقاش والتأمل والتدبر والدراسة أحيانا ولكنه لم يدرس الدراسة الشاملة الكاملة رغم الجهود المبذولة • ولم يربط الساهرون عليه والمهتمون به والمتحمسون له عناصر وجوده بعضها مع بعض وهي لا تقل عن أربعة : الخلق والقراءة والنشر والتوزيع •

لقد دأب القوم على تناول الكتاب التونسي ووضعه بالتحليل والدرس والاقتراح كل حسب اختصاصه ، يشرحونه تارة ويلمون شتاته تارة أخرى ، ويحتضنونه طورا ويلقون به طورا آخر ، يحكمون عليه بالموت مرات ، وينتشلونه رأفة به مرة أخرى وهو مع ذلك كائن حي يتنفس بملء رئتيه ، وفي أشد عنفوانه يتحدى العراقيل ماضيا في فرض نفسه لانه نابع من كيان الشعب معبر عن خلجات الجماهير ، مؤجج لآمالها مكافح لأعدائها •

إن الكتاب في طول عمره وتجدده كائن حي خالد يتحدى العصور ويقف في وجه الدهور صامدا لاينى يتطور ، سابقا للاحداث مزلزلا للاوضاع مفجرا للطاقات ، باعثا في الانفس الطمأنينة عند لحظات حيرتها ، مزعزعاً كيانها أثناء خنوعها وذلتها واستكانتها • ولكنه ككل الكائنات الحية يحتاج الى التأقلم والتوافق مع العصر والتآلف مع المستحدثات وعناصر الحياة المحيطة به المنازعة له في سلطانه •

لذا فانه لا يمكن بحال من الاحوال أن تضبط في تونس سياسة للكتاب لا تراعى فيها كل عناصر وجوده لاننا اهتممنا بالنشر والتوزيع وبذلنا جهودا في ذلك ثمارها متفاوتة القيمة ، وشجعنا الخلق وزرعنا المكتبات في أماكن عديدة من البلاد ، ولكننا لم نربط هذه العناصر بروابط متلائمة يتغذى بعضها من بعض ويشد الواحد الآخر في قوة وصلابة حتى يقف الكتاب التونسي على سوقه ويؤدي رسالته بين المواطنين على مختلف أصنافهم وأعمارهم •

ولقد كان ملتقى الحمامات الاخير الذى نظمه اتحاد الكتاب التونسيين فرصة أخرى للتداول فى وضع الكتاب التونسى وخاصة فيما يتعلق بالنشر والتوزيع وحقوق التأليف ، وهى فرصة ذهبية ضمت الكتاب والناشرين والصحفيين والمسؤولين من قطاعات عديدة ولكنها ، وان ختمت بلائحة احتوت على مقترحات عديدة من شأنها أن تنهض بالكتاب لا محالة ، فانها فى الواقع دلت على ظواهر لا بد من الاشارة اليها بل الوقوف عندها ولفت النظر الى ما تكتسيه من أهمية بالغة بالنسبة للوضع الثقافى العام ٠

من أهم هذه الظواهر التشتت فى تصور الموضوع ونظرة المشاركين اليه واختلال صفوفهم ٠

فلئن اقتصر الملتقى على دراسة وضع الكتاب من حيث النشر والتوزيع وحقوق التأليف فان التصور كان من الواجب أن يلائم بين العناصر الاربعة الآنفة الذكر ٠ ولقد أحس بذلك الاستاذ محمد مزالى رئيس الاتحاد فضمن كلمة الافتتاح ما يشير الى الاعتناء بجانب القراءة والمطالعة ومشاكلها فى تونس ٠ وإن ما تزمع عليه وزارة الثقافة من بعث لمجلس ينهض بالكتاب التونسى لكفيل ، اذا نظر الى الموضوع هذه النظرة الشاملة ، ان يعطى ثماره الطيبة وأعنى بذلك أن تضبط سياسة للكتاب تراعى الميادين المتعددة المذكورة وتحاول أن تلائم بينها وتواجه جميع المشاكل معا حتى تكون الحلول مترابطة ٠ اذ لا يمكن أن يكون نشر بدون توزيع ولا توزيع من غير حل مشاكل القراء والمطالعة ولا يوجد جمهور قارىء اذا لم تعالج ظروف الخلق التى بها يتنوع الانتاج ويزكو وأكثر من ذلك اذا لم يواز كل هذا سياسة تربوية وثقافية ملائمة كما جاء فى لائحة الاتحاد ٠

هذا التشتت فى التصور لازمه ايضا تشتت فى النظرة : نظرة الكتاب والناشرين خاصة ٠ ولقد كان الحوار بين الطرفين شبيها بحوار الصم فالكتاب يشكون من قلة النشر وتعثره وقصور التوزيع وضآلة حقوق التأليف وشحها تعبيرا عن واقع مر ، وإن خشى بعضهم من الافصاح عنه فى الملتقى بينما الناشرون فى أغلبهم ألحوا على المجهود المبذول وعلى نجاحهم فى ذلك ٠

أما التشتت فى الصفوف ، صفوف الكتاب فقد برز فى تباين المواقف وتبلبل الافكار ظاهريا ٠ وفى الواقع فان أغلب الكتاب متفقون على وجود أزمة مزمنة انتابت الكتاب التونسى ووجوب الخروج منها مهما كانت التكاليف

برسم سياسة محددة وتوفير الامكانيات والوسائل لها ولكن ضبط وسائل المعالجة تحتاج الى تركيز فى البحث وتعمق فيه وهنا يجب على اتحاد الكتاب أن يعدد الفرص بتعاون مع الدوائر المسؤولة حتى تتوحد الصفوف ولا يؤثر تعدد المدارس الادبية والفكرية واختلافها فى وجود الكتاب التونسى وتمتعه بالحياة المتجددة والنهوض به حتى يساهم فى ازدهار جماهير التونسيين فكريا وأدبيا وفنيا ويعطيهم معنى لحياتهم ٠

لقد كان إذن ملتقى الحمامات ناجحا عندما مكننا من ابراز قضية الكتاب التونسى بهذا الوضوح وأعطانا الفرصة للخروج بمقترحات عملية لا بد أن تتحد فى شأنها الصفوف للخروج من هذه الازمة والتقدم خطوة أخرى فى سبيل ثقافة عصرية متينة أصيلة ، يعد الكتاب دعامة قوية من دعائمها ٠

البشير بن سلامة

تختتم مجلة « الفكر » بهذا العدد سنتها الواحدة والعشرين شاكرة لقرائها ومراسليها الكرام ما لقيته فيهم من سند وعناية ، وواعدة بالدأب ومواصلة السعي فى سبيل تركيز ثقافة تونسية عربية أصيلة ٠

لقاء القصاصين بالحمامات *

بقلم : عبد الواحد براهم

جمع هذا اللقاء فى إطار المركز الثقافى الدولى بالحمامات طائفة هامة من القصاصين التونسيين بالاضافة الى أربعة كتاب من فرنسا : كلود سيمون (Claude simon) ، ميشال تورينى (Miche Tournier)) ، جان بيار فاى (J. P. Faye) ،وجان ريستا (Jean Ristat) · وتغيب ميشال بيتور ـ الذى كان اسمه ضمن قائمة المدعوين ـ لسبب لم يوضح ·

لماذا هذا اللقاء ؟ وفى أى إطار يندرج ؟

إن الموضوع المقترح لهذا اللقاء هو : « اتجاهات حديثة للكتابة القصصية » ، وتشرح وثيقة وزعت على المشاركين أنه لقاء « متحرر » من جميع التحديدات ، وهو إذ يجمع بين كتاب تونسيين فانما يتم ذلك فى إطار التعاون بين فرنسا وتونس ، ثم إنه لنتيجة لوثوق العلاقات بين البلدين فى ميدان التبادل الثقافى والفنى ·

أما أن يتم لقاء مثل هذا بين كتاب من فرنسا وتونس فى نطاق التعاون فأمر معقول ومستحب ، لكن الاكثر منه معقولية ، والاوكد منه حاجة هو أن نبدأ بتنظيم الحوار بيننا وبين كتاب من سائر البلاد العربية ـ على الاقل من التى نتعاون معها ـ فيكون هذا فى مرتبة متقدمة فى الاولوية لما لنا معهم من ارتباط فى الوشائج واشتراك فى الهموم والمشاغل ·

يلى ذلك فى الاهمية تنظيم لقاء مع كتاب افريقيين ممن خضعوا لنفس القهر الاستعمارى الذى تعرضنا له ، وممن لا يزالون ـ مثلنا ـ فى طور المحاولات المستميتة للتخلص من رواسب الاستعمار القديم وضغوط الاستعمار الجديد مهما كان شكله ولونه ·

(*) دعا الى هذا اللقاء وأشرف على تنظيمه ، وآواه ، المركز الثقافى الدولى بالحمامات ، بالتعاون مع سفارة فرنسا بتونس · وكان انعقاده أيام (28 ، 29 ، 30 ، 31 ماى 1976) ·

ثم لماذا لا نهتم فى مرتبة تالية بكتاب هذه المجموعة الهائلة من البشرية التى يتكون منها ما يدعى اليوم بالعالم الثالث ، فانا لنسمع عنهم خبارا جد مثيرة ، وإن لهم من التجارب المبتكرة ما لفت أنظار الكثير من نقاد وكتاب العالم المتقدم • هذا فضلا عما نشترك فيه معهم من المشاغل والضغوط ووسائل العمل (1) •

أى حوار مع طوائف هؤلاء الكتاب لا بد أن يكون بطبيعته خصبا وثريا ، فضلا عن الافادة والاستفادة ولعلى لا أبالغ اذا قلت أنه أولى باهتمامنا وجهودنا من لقاء مع كتاب فرنسيين يدعون « الطلائعية » وليس لهم فى الحقيقة إلا « الانتمائية » لهذا التيار أو ذاك •

وإذ يكون الكتاب التونسيون ــ فى مرحلتهم الحاضرة على الاقل ــ بصدد إزالة القشور عن لباب ذواتهم ، ونضو ما علق بتفكيرهم من رواسب « الانتمائيات » المختلفة ، فليس مما يساعدهم على ذلك أن يشعروا بعقدة الطالب أمام أستاذ يأتيهم من وراء البحر المتوسط ليمتحن مدى حذق تلميذه لما لقنه اياه من أساليب التعبير شكلا أو مضمونا •

ليس هذا ادعاء ، وإنما سمعته فى حديث خاص مع أحد القصاصين الذين حضروا لقاء الحمامات ، ثم جسمته هذه الجملة التى ألقاها لا شعوريا قصاص تونسى « معروف » أثناء النقاش العلنى متوجها بها الى الضيوف : « وما الذى تنصحون بترجمته من الادب التونسى ؟ » • أو لا تجسم « تنصحون » هذه منتهى الاستلاب الذى خضعنا ــ ونخضع ــ له باستمرار ؟

ما أصدق نجيب محفوظ حين يقارن بين مشاغل الكتاب العرب ومشاغل كتاب أروبا إذ يقول : « نحن نقرأ عن أزمة خلقها الاستهلاك الزائد •• أين

---

(1) « الطليعة فى تونس هى أقرب للطليعة فى البرازيل والارجنتين والسينغال ونيجريا منها الى الطليعة فى المانيا والولايات المتحدة وبريطانيا •• إن هناك انفصالا واسعا بين هذه الطلائع وطلائع أروبا الغربية لما لهذه الاخيرة من مفاهيم تهدف نحو الترف الفكرى والمجانية الثقافية ومهادنة القوى الرجعية والامبريالية » •

عن عز الدين المدنى : « الادب التجريبى » ص 21/ نشر الشركة التونسية للتوزيع 1972 •

نحن من هذا الاستهلاك ؟ ـ ونقرأ عن الآثار العميقة للتكنولوجيا فى حياتها وأعصابها (أى الحضارة الغربية) .. أين نحن من التكنولوجيا ؟ ـ ونقرأ عن استبداد « العقل » بها ، ونحن نعانى من استبداد الخرافة ، ـ ونقرأ عن معاناتها من الافراط فى الحرية ونحن لم نكد نظفر بجزء منها » .

ولكم كان واضحا هذا التباعد بين مشاغلنا ومشاغل ضيوفنا فى لقاء الحمامات !. ففى حين يقول بعض كتابنا : « الكتابة شهادة .. الكتابة وعى ومسؤولية » ويضيف آخر : « الكتابة عدوان » جاء ميشال تورنيى ليعلن « الكتابة بريئة » وأضاف كلود سيمون بعده : « لا يمكن للكاتب أن يكون شاهدا على عصره » ..

وقد لاحظت كم كان يطرب أولئك المدعوون للمواضيع ذات الصبغة « الايكزوتيك » كأن يستمعوا الى تجربة الكتابة عند أديبة تونسية ـ امرأة يا للعجب ! ـ (ج. ريستا) وكأن تعاد عليهم مطولا سيرة « الجازية الهلالية » (ج. ب. فاى) ، أو أن يتحدث اليهم عن العلاقة بين الادب المروى والادب المكتوب (تورنيى) ، وكيف استطاع القصاصون فى تونس التعامل مع اللهجات الخاصة (ج. ب. فاى) ...

لماذا هذا اللقاء .. الآن ؟

يأتى هذا اللقاء الآن كثمرة للعلاقات الوثيقة التى ما انفكت تربط بيننا وبين فرنسا فى ميدان « **التبادل** » الثقافى والفنى . ولكن حدث أننا فى نفس الوقت بدأنا نشعر بوطأة هذه العلاقات الوثيقة ، لسبب بسيط هو أنها لم تتوثق الا على حساب شخصيتنا وركام أصالتنا التى هى الرغيف المتواضع ـ ولكن الطريف ـ الذى يمكن أن نسهم به على مائدة الحضارة العالمية .

لقد ضاع مدلول المشاركة من صيغة « التبادل » التى نوردها فى مثل هذه الحال . ذلك أننا غالبا ما نكون فى موقف المفعول لا فى موقف الفاعل ، ولا تخلو مثل هذه الصفقات من غبن وحيف .

فهل كنا نأمل الاستفادة من تجارب الكتاب الفرنسيين .. ونحن الذين رضعنا نتاجهم قديمه وحديثه ، وحتى صرنا أدرى به من بعض أبناء صلبه ؟

وهل كنا نأمل أن يصغوا الينا ويهتموا بما لدينا ٠٠ عسى أن تسترعى انتباههم نواقيس جديدة ذات رنين طريف ؟ لا أظن فأدباء فرنسا ومثقفوها أشد خلق الله فرحا بما لديهم وهم به مكتفون (1) ولا أراهم التفتوا الى جيرانهم وذوى قرباهم ـ أى بنى حضارتهم ذاتها ـ بالقدر الذى يكفى وينفع٠ فما بالك بنتاج « جماعات » ما وراء البحار من زنج أو عرب أو غيرهم ٠

إنى لا ألوم فى نهاية الامر الفرنسيين أن يكونوا فاعلين ، فهذا فى الحقيقة دليل على الفحولة والقدرة ، ولكنى ألوم قومى أن يرضوا بدور التلقى والتبعية وكل الظروف تدعوهم الى التخلى عن هذا الدور المشين ٠

رأيت فى لقاء الحمامات كيف تخلى أصحابى عن لغتهم القومية كوسيلة للحوار ـ هى الوحيدة على الاقل لاثبات شخصيتهم ـ واندمجوا يرطنون ـ أو يتبارون ـ باللغة الفرنسية (لعل هذا لاظهار البراعة وتغطية مركب النقص الذى كانوا به يشعرون) حتى أنى لما حاولت الادلاء بالرأى خلال المناقشات بلغة عربية (وكنت الوحيد) أخذت مأخذ الناشز الخارج عن المألوف والجادة ، فاختزل حديثى مرة وترجم خطأ مرة أخرى مما اضطرنى الى تصحيح بعضه ، ولم يرتح لذلك الضيوف الذين رأوا فى فعلتى هذه تمسكا بشىء ليس له من مبرر ٠٠ والحال أن إخوانا ممن حضروا لم يسلكوا الا سبيل (الاندماج فى الجو) أو الصمت (جلوسا على الربوة) ٠ بل انى شاهدت من انسحب بعد جلسة واحدة دون أن يلفظ كلمة مع قدرته على الافصاح باللغتين ٠

أما أن يكون هذا اللقاء « متحررا » ودون رأى مسبق ففى هذا نظر ٠٠ أما أن تكون دعتنا الحاجة اليه ٠٠ ففى هذا نظر أكثر ٠٠ لكن الذى أود أن يبقى ويترسب من هذه التجربة التى أقدم عليها المركز الثقافى الدولى بالحمامات فهو الرغبة فى توسيع حلقة الحوار وانتقاء المخاطبين ممن لهم نفس همومنا ومشاغلنا وأدواتنا حتى يكو نالهدف أقرب منالا ، والحصيلة أطرف وأبقى ٠

---

(1) تحسن فى هذا الصدد مراجعة العدد الخاص الذى أصدرته مجلة « نوفيل ابسرفاتور » بتاريخ ماى ـ جوان 1971 وفيه من الدراسات والاحصاءات ما يفيد ويقنع ٠

تهويمات بدوي بدائي

شعر : علي عارف

①

أبوك يا بنيتي لم يرضه مقر

فآثر السفر

في رحلة لا تنتهي إلا مع العمر

ـ الصوت الأول ـ

ولدت يا صغيرتي فجرا مع الربيع بمنزل وديع
بخيمة تظلنا في الحر والصقيع وسادنا الحجر
أيام كان والدي يرافق القطيع يسوقه القدر

* * *

عرفت يا عزيزتي عذوبة الرحيل وعهده النبيل
ولحظة الفراق إذ نودع النخيل ـ والشمس تنحدر ـ
قوافلا تزودت بتمره تميل تجمعت أسر

* * *

طوفت في صحرائنا طفلا وما أزال أهفو الى الغزال
يهزني لرحلة قديمة خيال فأطلق البصر
أتيه في انطلاقة أهيم في الرمال كالتبر تنتثر

* * *

عرفت يا عزيزتى ضراوة الحروب ووحشة الغروب
والرعب فى ديارنا يفتت القلوب من يانع الصغر
والرعب يا بنيتى نعيشه ضروب على مدى العمر

* * *

كم ذقت يا بنيتى حرارة النهار بأوحش القفار
وفرحة نصيبها تبدد الدمار إذا همى المطر
فيحلم الشيوخ فى بساطة الصغار وينتشى الشجر

②

ـ الصوت الثانى ـ

اليوم يا حبيبتى نغادر المدينه نراود السكينه
تهدنا أعباؤنا أحلامنا الدفينه تعددت صور
تضج فى نفوسنا المشاعر الحزينه تكاد تنفجر

* * *

أحياؤنا غريبة نهارها زحام وليلها حطام
تموت ألف مرة اذا هوى الظلام فتغرق الفكر
تبيت طول ليلها تغازل الطعام يلوح يستتر

* * *

صغارها وجوههم صفراء كالحريف أذابها النزيف
ثيابهم تمزقت أبادها الحفيف وكلت الابر
أقدامهم تصلبت تصلب الرصيف وقدها الحجر

* * *

أحياؤنا مهجورة إلا من النساء   يحلمن باللقاء
وهاجر الرجال فى دوامة الشقاء   كفوا عن السمر
فغربوا أو شرقوا لغربة عناء   تفرقوا زمر

③

ـ الصدى الأول ـ

وقيل يا بنيتى : مشيئة الاله   وسنة الحياه
بها يعيش سادة فتنحنى الجباه   تظل تنتظر
فى عربها وجوعها • وتلجم الشفاه   ليطمس الخبر

④

ـ الصوت الثالث ـ

الآن اذ بعدت عن أحيائنا الفقيره   ودورها الكسيره
تلوح لى بهضبة منازل مثيره   تلألأت درر
تخيلى ما شئت فى أركانها الوثيره   لا تمعنى النظر

★ ★ ★

فالحلم يا صغيرتى عذابه العذاب   الحلم كالسراب
يزيد فى اشتياقنا لجرعة الشراب   ونحن نستعر
لا تطمعى بنيتى أن تعصرى السحاب   عساه ينهمر

★ ★ ★

يا هضبة منيرة تزينها الزهور   حفت بها القبور
تخايلت وزينت بأجمل القصور   تلتف تنتشر
تطاول السماء فى تعنت النسور   من يأمن القدر ؟

★ ★ ★

أضواؤها تناثرت تقتات من ظلامنا تحيا على أيامنا
ونحن يا بنيتى نضيع فى أحلامنا بأتعس الحفر
تهدنا ليطلع الصباح من حطامنا يميتنا الضجر

---

⑤

ـ الصدى الثانى ـ

فرعون يا حبيبتى أقامه هرم يقاوم العدم
عبيده ظهورهم نزت خيوط دم وغطت القشر
تردد الصراخ مثل رجعة النغم غدا سننتصر

---

⑥

ـ الصوت الأخير ـ

سأنتهى غزالتى رحالة أسير يقودنى المصير
للبدء للصحراء فى لقائنا الآخير فى موعد أغر
فأحرق الاحزان فى تأجج الهجير ويشرق القمر

* * *

أبوك يا بنيتى لم يرضه مقر فآثر السفر

فى رحلة لا تنتهى إلا مع العمر

ع٠ ع٠

المسألة اللغوية مسألة حيوية

بقلم : أحمد القديدي

يعرف دارس التاريخ الانسانى أن هناك قوانين جدلية تحرك هذا التاريخ فى شكل تصارع بين القوى المتضادة ، لا ينتهى بالضرورة الى انتصار شق على شق ، بل تتغير تلك القوى وتأخذ اشكالا اخرى وتلبس عصرها ، من ذلك مثلا ان القرن التاسع عشر كان قرن ميلاد الاستعمار والتوسع الاقتصادى والثقافى لشعوب أوربا ، وكان ايضا قرن نشأة القوميات وظهور ردود الفعل الحضارية لدى الشعوب المضطهدة ، فتميزت نهاية القرن ومطلع القرن العشرين بتصارع الظاهرة الاستعمارية والظاهرة القومية .

وعندما احتضر الاستعمار — الادارى والعسكرى — انبعث فى روح جديدة ليلبس قناع الغزو الثقافى ، وعوض التجنيس الروحى والحضارى التجنيس الادارى ، وكنا نحن — بوعى او بدون وعى — حلفاء للاستعمار الجديد نعينه على مسخ ذاتنا بالتفريط فى مقوماتنا الاصلية من لغة ودين وقيم .

واذا كانت الجدلية التاريخية موجودة وناجعة فى القرن الماضى حينما قابل التحرير الاستعمار ، فان الجدلية تكاد تكون مفقودة لدى شعوب العالم الثالث المستقلة اداريا وعسكريا ، فالاستعمار الجديد لا تقارعه اليوم ارادة صماء ، ومخططات الصليبية الحديثة لا تصدها مقاومة قومية حديثة ، ولذلك لا بد ان نقرع أجراس الخطر ونحن على أبواب إبادة روحية بعد ان وقع إنقاذنا من إبادة جسدية .

كانوا يقولون عام 1898

نذكر بعض مطارحات الاستعمار واقطاب الايديولوجية الاستعمارية فى أواخر القرن الماضى ، وقد جاءت تلك المطارحات فى مجلة « جمعية الانتربولوجيا بباريس — الجزء 9 ، السفر الرابع » حيث اثارت هذه المجلة « العلمية » مسألة مناهج الاستعمار واقربها تحقيقا للاهداف فتساءلت :

— كيف يمكن لنا غزو بلدان افريقيا ؟

واجاب بعض « الاساتذة » من سادتنا الفرنسيين :

« يمكن لنا ابادة الاهالي بصفة جذرية : ولم لا ؟ لقد قام بهـذه العمليـة جيراننا الانقليز فى بعض مستعمراتهم وخاصة فى طسمانيا عام 1876 ، وقتلوا آخر مواطن طسماني ٠٠ »

ويجيب العالم الانتربولوجي قائلا : « لكن عملية الابادة هذه ليست ناجعة اليوم ، كما كانت بالامس حيث اصبحت طسمانيا مستعمرة انقليزية امينـة وهادئة » ٠٠

ولعل الاجابة ــ بالنسبة لتونس ــ جاءت في جريدة « لاديبيش تونيزيان » في عدد 18 فيفرى 1908 ، أى بعد 12 سنة من تساؤل المجلة حيث قالت :

« نعتقد ان الابادة لن تتم بالسلاح ، فنحن لا نملك رعايا فرنسيين قادرين على تعويض الاهالي ، لكن الحل يكمن فى فرنسة هذا الشعب فرنسة كـاملة واسعة حتى اعماق قلوبهم وأرواحهم ، وعلى السل والكحول اتمام الابادة فى المدن وعلى الجوع والجفاف اتمام الابادة فى البوادى ٠٠ »

واكتفى المسيو (برجرى) فى جريدة (كوريى دو تونيزى) يوم 4 نوفمبر 1905 بالقول :

« ابقى مقتنعا ان لا منزلة لتونس بين البلدان الا اذا فرنسنا كل هياكلهـا وسنقوم بذلك خدمة لتونس وللانسانية ٠٠ »

ونجد كل هذه المعاني فى أغلب ما خطته اقلام المستعمرين فى أوائل هـذا القرن ، حيث ان الايديولوجية الاستعمارية لم تعتمد على التوسع الاقتصادى فحسب ، بل نشأت عن عقيدة التفوق العنصرى الساذج ، ذلك ان النهضـة الاوربية فى المجال الصناعي والثقافي رافقها ووازاها انهيار هياكل المجتمعات المتخلفة ــ ومنها المجتمع العربى ــ فكان شعور المستعمرين شعورا بالنخـوة لانهم مثلما قال (جول فيرى) يوم 28 / 7 / 1885 :

« هل من أحد ينكر انه من حسن حظ الشعوب البائسة فى افريقيا ان تنعم بالمدنية الفرنسية ٠٠ » وهذه هى النتيجة التى ينتهى اليها كيبلنغ وشمبرلان وكل المؤتمر الاستعمارى المنعقد سنة 1906 ٠

ولم يشذ المفكرون الاشتراكيون عن نظرية الاستعمار ، فكان بعضهم يرى فى الظاهرة الاستعمارية نوعا من التضامن بين الشعوب على اساس الاخـذ بايديها نحو انسانية اروع واكبر ، من ذلك افكار بعض الماركسييـن امثـال (برنشتاين) و (فون كول) و (كوتسكى) و (بيرنس) كما ان بعض علماء

الغرب لم يترددوا فى تبرير الظاهرة الاستعمارية بالتفسير العلمى التطورى لحياة البشرية ومراحلها ومن بينهم (مين) و (تايلور) و (مورغن)

اللغـة والاستعمـار

أردت أن أصل من خلال هذه اللمحة التاريخية الى أن العقيدة الاستعمارية عقيدة عنصرية ، وليست فقط حتمية اقتصادية ـ مثلما فسرها الماركسيون ـ ولذلك فهى لا تختفى بحتمية اقتصادية اخرى ـ اى بالتحرر السياسى والاقتصادى والادارى ـ لكنها نظرية قابلة للتغيير والمسخ ـ فالعنصرية التى تنشأ عن اقتناع بالتفوق العرقى المزيف لا يمكن ان تمحى من الاذهان ، ومن تخطيط الامبراطوريات الجديدة بسهولة فهى مقوم ثقافى قار لدى الامم الغالبة ـ بمفهوم ابن خلدون ـ ومنها نشأ التبشير ـ الذى هو وجه من وجوه الاستعمار ـ

فاستقلال الشعوب ـ وهنا تهمنا الشعوب العربية ـ لا يعنى بالضرورة انقراض رواسب الظاهرة الاستعمارية منها ، فالاستعمار عمل عندما كان متنصبا بالبلدان العربية على توطيد وجوده وترسيخ كيانه بصورة يصعب الرجوع عنها او اعادة النظر فيها ، ونحن نذكر ان الجزائر على سبيل المثال كانت مسرحا لمحاولة تشويه حضارية عانت منها الويلات واستلزمت العمل الدائب الطويل ، فقد عمدت خطة ديغول منذ 58 الى 62 الى فرنسة الجيل الجزائرى فى المدارس من اجل ان يجعل مشكلة التخلص من التبعية الفرنسية امرا مستحيلا بالنسبة للجزائر المستقلة ، وقد اعترف بذلك الوزير الفرنسى للشؤون الجزائرية آنذاك عندما قال : « ان ديغول عمل على تأخير التعريب فى الجزائر الى أمد بعيد »

وفى تونس بدأ التخطيط لمسخ المقومات الحقيقية للشعب منذ انتصاب الاستعمار ، ولا فائدة من ذكر ما تعرض له هذا الشعب من محاولات التزييف والتضليل .. لكن الذى يهمنا هو حاضر الشعب وغده ، فى زمن اصبحت فيه الازدواجية اللغوية ـ أى الثقافية والحضارية ـ واقعا ملموسا ، مما يكاد يحيد بنا عن ضمير الامة وقيمها اذا لم نعمل على ترقية اللغة العربية بصورة ناجعة وشاملة كاحدى مقومات الشعب ، فاللغة هى الهدف الاساسى من عديد المحاولات الاستعمارية مثلما يقول القس (زويمر) سنة 1906 وهو ينادى بما سماه « بتكسير الرباط الوثيق بين الشعوب الاسلامية : اللغة العربية » .

فالازدواجية اللغوية ، اذا ما تتبعنا خفاياها وفعلها فى المجتمع وجدنا انها تخلق نوعا من الاحساس الطبقى فى الشعب الواحد ، حيث ينعزل فيها بعض

من استفحل الاستنقاص الذاتي فى أنفسهم ليتركوا للعربية طبقة أخرى ـ هى فى نظرهم دونهم منزلة ـ ويصبح اللسان الاعجمي دليلا على الوجاهة والنجاح الاجتماعي والتعلق « بالمدنية » بمفهوم (فكتور دوكرنيار) ٠

اعتقد ان لا نهضة ثقافية لبلادنا العربية الا عن طريق لغتها ، وترقية هذه اللغة رهينة اختيارات سياسية جريئة ، فنحن نلاحظ مجهودات جبارة تقوم بها وزارات التربية والثقافة فى كل البلدان العربية ، ولكن القضية ـ بالطبع ـ ليست معزولة عن الاختيارات السياسية والتعاون الدولي وتصارع الكتل والدول العظمى ، إذ لا تكفى النوايا الطيبة والكلمات الحماسية لحماية الشعوب من التبعية والتلف والامحاء ٠ فالبناء الداخلي لكل بلاد عربية ـ الذى هو الشرط الاول للنهضة العربية ـ لا يمكن أن يتحقق الا باعتبار اللغة العربية فى طليعة المشاغل والبرامج والمخططات ، اى باعتبارها مسألة حيوية ٠

إجهاض الغول الاستعماري قبل أن يولد

نرى من خلال الازدواجية اللغوية فى بعض البلدان العربية والافريقية ان المجتمعات النامية حبلى بغول استعماري قرب اوان وضعه ليفترس ما تبقى سليما من القيم والمقومات ، ولذلك علينا العمل الدائب لاجهاضه بالتنسيق والتعاون بين حكومات البلدان التائقة للتحرر الشامل لان الازدواجية لم تعد تقوم بدور الانفتاح الطبيعي لهذه البلدان على آفاق الحضارة والعلم ، بقدر ما هى تغليب للغة الأجنبية على اللغة الأصلية ، بما سبقت إليه تلك اللغة الأجنبية من تحكم فى المادة العلمية بحكم تطور شعوبها ٠ فاللغة الاصلية تصبح لغة ثانوية اذا ما اقتصرت على تعليم المادة التاريخية والدينية فحسب ، بينما نعلم باللغة الاجنبية لاجيالنا العلوم والحضارة والفلسفة والطب والصحافة والاقتصاد ٠

ونحن فى تونس نحيى مجهودات رجل كالدكتور سليم عمار الذى جعل من تعريب الطب النفسى قضية شخصية آمن بها وأصبح يعمل من أجلها ، لا بالتحمس المجاني ، بل باقرار ذلك التعريب على اسس عملية وعلمية ، ونرجو ان يجد الدكتور سليم عمار من لدن المسؤولين والطلبة وهياكل الجامعة سندا قويا حتى يخرج باحد فروع الطب من الانغيار والتبعية فما أشد حاجتنا وحاجة البلدان العربية الى مثل هذه المبادرات حتى تتكامل الجهود وتتظافر من اجل الحفاظ على لغة الشعب ، اى فى الحقيقة على كيان الشعب واستقلاله الكامل وارتباطه برقعته الحضارية الطبيعية ، دون زيغ او تحريف ٠

أ٠ ق٠

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

كفى ألفاظا وشعارات وتوجيهات تسلط على الكتاب جزافا حتى كأنهم التلاميذ تملى عليهم فروضهم إملاء ... الأدب ودوره ... الأدب ورسالته ... الالتزام ... الالتزام ... وكأن الكاتب الخلاق في هذا المنطق السخيف أشبه بثور الطاحون بلادة واستخذاء .

***

أن تحس ذات يوم ، وقد شارفت الشيخوخة ، كأن قد ساخت بك الأرض أو أطللت على هوة بعيدة القرار ... وإذا أنت ترى فجأة أن لا شيء يعتد به في الوجود .. لا الأهل ولا الابناء حتى ولا الحياة .. لا شيء وربما سوى معنى تعيش من أجله .. لا شيء سوى أن تعيش وأن تنساق الى العيش .. متجافيا جهدك عن الحيوان فيك !

***

تهيم المرأة هياما بالجمال حتى لقد ترضى أن تشوه وتمسخ من أجل جمال موهوم .

***

السعادة في غفلتك عنها ...

السعادة ومضات وإشعاعات خاطفة ما أن تعيها حتى تتلاشى وتموت .

***

دورة الفصول ... سنفونية منسقة الاطوار متآلفة الأضداد تبعث من قلب الشتاء هادئة لينة ثم تنمو وتتفرع لا تنى تصاعد حتى تبلغ ذروتها وتنفجر فيضا من رائع الأنغام والأنوار وبديع الصور والألوان .

⁂

هناك شيء أشد من الموت وأفظع حتى ليبدو الموت - بالنظر إليه - رحمة وخلاصا .

إنه شبح الموت كاللغز منتصبا فى النفس لا يزال يروعنا بغموضه وغرابته ، ويخدعنا بتهاويله حتى اذا ما اقترب انكشف أمره وباخت هيبته وبطل شذوذه والتقى بالحياة وئاما الى غاية الاتحاد .

⁂

شفاه تدعوك وتغريك ... كأنها الثمرة انفتحت نضجا وطيبا .

⁂

الفكر .. تلك الذرة الصغيرة الضئيلة .. يراعة تائهة فى خضم الظلام .. نقطة على وجه العدم لا تكاد تبين .

الفكر .. تلك العين النفاذة تجوس أقاصى الكون .. شهابا عاتيا لا ينى يطوى الزمان والمكان ...

⁂

ماذا عسى يبحث الانسان من خلال كل ما يلتمسه من الاشياء ، الجليل منها والصغير ، سوى ضرب من الحضور .. أيا كان هذا الحضور .. طعاما شهيا .. عملا منعشا .. نصا جميلا .. أنسا بين الأحبة والأصدقاء أو لهوا سخيفا تافها ؟!

المعنى أو الطعم والمذاق ذاك جوهر الحضور وصميمه ؛ فبالمعنى يقهر المرء العزلة الأم فيتحرر من نفسه ويحيل سلبية الوجود وحياده ورتابته وجموده حنينا ظامئا ٠٠ توثبا وعراما ٠٠٠

نعم ! الحضور ٠٠ أن تأنس الى شيء ما وتلمس وجوده ، حتى ولو كان هذا الشيء ذاتك ، على ما فى صحبة الذات من عنت وحرج ٠

على أن من الحضور ما هو أسوأ من الوحدة والغربة وأنكى من الوحشة والفراغ ٠

⁂

الأدب ـ والفن عامة ـ صورة من صور الهزل الجاد والتندر Humour فالكاتب يعيش الواقع كغيره من الناس ولكنه ما أن يستغرق فيه وينفذ الى لبه حتى يسيطر عليه ويتجاوزه بالتعبير عنه ٠٠ قشرا يلقى به لا يؤبه له ٠

⁂

إحساس حاد غامر ينتاب النفس أحيانا ٠٠٠ كالجدار يضرب بينك وبين أبنائك فاذا أنت أبكم يجهد ثم يجهد فلا يبين ٠٠ واذا أنت كالشجرة الثكلى جردت من أوراقها عنفا وقسوة ، أو الحقل الخصيب يصرعه البرد فيهوى هشيما ٠٠ أو البغل السخيف يتوق عبثا الى نسل موهوم ٠٠٠

لقد انعدم التواصل وليس لك إلا أن تتجرع مرارة العجز والافلاس وتهنأ ـ رضيت أو لم ترض ـ بالخيبة والجحود ٠

⁂

الخلق أخذ وعطاء ٠٠ ضرب من التنفس هو قوام توازن الكاتب واعتداله ومنتهى طمأنينته وصفائه ٠

وليس أشد على نفسه من جفاف القريحة واحتباسها إذ يرى نفسه كاللص الغادر أو الطفيلي المهين يتناول فى غير حياء ما ليس له٠٠٠

إنه ليس الشعور بالعجز والعقم فحسب وإنما شيء آخر ، فكأنه شذ عن الجماعة وانفصل عنها ، وكأنه قد أصبح عالة عليها وانقلب عيشه عبثا مجانا . ولن تهدأ نفسه ويهنأ ضميره حتى يقضى دينه ويرد العطاء أضعافا .

⁂

قلما تسلم الشعوب من الدجل والزيف فى سوق السياسة فما تحسبه فضلا وتضحية وبطولة قد لا يكون سوى ضـرورة حتميـة قضت بها المصلحة قهرا .

⁂

خداع العين .. بل فنها الكيس البديع ووشيها اللبق الجسور !

أبدا تنسج وترسم لا تفتأ تولد أفانين من اللهـو والحكمـة .. ألواحا عبقرية من الحقائق والأوهام .

العين شاعرة تأبى العرى الأجرد والفراغ الخواء لا تنى تضفى على الواقع الجلمد دفئا من اللون ورفة من نور .

العرى لا يطاق . العرى ضيق واختناق . العرى عـورة يجب أن نلفها فى خيوط من سراب .

لا بد من قناع .. كساء من شعاع أو كفن من ضباب .

أن يكون للاشياء روح ومعنى . أجل . ولا معنـى ولا روح دون صورة وإن تكن شوهاء ، ودون لون وإن يكن شاحبا باهتا .

العابثة الصناع تبنى وتهدم فى كل آن . تخلق الضد من الضد ، وتمحو النقيض بالنقيض هكذا اعتباطا .. رغبة مطلقـة .. ولـذة محضـا .

⁂

من أسخف صور التقليد وأشدها غثاثة وابتذالا تقليد المرء لذاته، فلقد نشعر أحيانا أن بعضهم يصدر فى هيئته وسلوكه وحتى فى حديثه عن الصورة المثال التى عرف بها عند غيره ـ ذلك النمـوذج الذى قد شارك غيره فى صياغته ـ يحتذيـه ويستمليـه ويتوكـأ عليه ٠٠ عجزا عن التجدد والخلق وإيثارا للتحجر والجمود ٠

***

لماذا لا تكون السعادة أقرب وأسمح ٠٠ آنس وأبسط ٠٠ تماما كمنظر هذا الخليج فى روعته الممتنعة وسلاسته المغرية ٠٠ فى عظمته ومهابته ٠٠ فى بشاشته وليمه تشاهده الآن وقد قبضت عليه بروحك كما لو كان صورة ملك يدك ، أو رؤيا نجمت من خيالك ٠٠٠؟

شعور بالنقص قاهر عنيد إزاء السعادة ٠٠ شأن الغنى لم يتخلص بعد من فقره أعطى الثروة ولم ير نفسه لها أهلا ٠

ب٠ م٠

الاشراقات *

لـ Arthur Rimbaud

تعريب : محسن بنحميدة

— I —

بعد الطوفان

مَا كَادَتْ فِكْرَةُ الطُّوفَانِ تَسْتَقِرُّ
حَتَّى تَوَقَّفَ أَرْنَب
فِي الحَشَائِشِ وَالنُّوَيْقِسَاتِ الْمُرَفْرِفَاتِ
وَتَلاَ صَلاتَهُ لِقَوْسِ قُزَحَ
عَبْرَ نَسِيجِ الْعَنْكَبُوت
يَا لَهَا مِنْ حِجَارَاتٍ كَرِيمَةٍ مُخْتَفِيَاتٍ
يَا لَهَا مِنْ زَهَرَاتٍ بَعْدَ أَنْ يَبْعَثْنَ بِالنَّظَرَاتِ
وَفِي الشَّارِعِ الْكَبِيرِ الْمُغَفَّنِ
أُقِيمَتْ الْعُرُوضُ
وَفِي الْبَحْرِ الْمُتَوَالِي الطَّبَقَاتِ
أُبْحِرَتِ الزَّوَارِقُ عَالِيَاتٍ

(*) لقد سبق لنا أن قدمنا للقراء الكرام « فصل فى جهنم » للشاعر الفرنسى ذى العبقرية الفذة Arthur Rimbaud فى سنوات 63 ـ 1965 اليوم نقدم لهم أثرا آخر لرامبو لا يقل غرابة ولا إبداعا عن « فصل فى جهنم » هو الاشراقات Les Illuminations وهى المحاولة الاخيرة الفاشلة من رامبو الشيطان لاسترجاع وحدة وجوده الممزقة الى الابد ، وجمال الملاك الذى بقى به منه أثر ثابت أبدا .

كَمَا هِيَ عَلَى اللَّوْحَاتِ
وَسَالَ الدَّمُ عِنْدَ « ذِي اللِّحَى السَّبْعِ » (1)
فِي الْمَجَازِرِ وَالْمَلاعِبِ
حَيْثُ يُبْهِتُ أَضْوَاءَ النَّوَافِذِ
خَاتَمُ الرَّحْمَنِ
وَسَالَ الدَّمُ وَالْحَلِيبُ
أَقَامَتِ الْقَنَادِسُ (2) الْبِنَاءَ
وَفِي الْمَقَاهِي الْحَقِيرَةِ
دَخَّنَتِ الْمَزَاقِرَةُ (3)
فِي دَارِ اللَّوْحَاتِ الزُّجَاجِيَّةِ الْوَاسِعَةِ
— وَهْيَ لاَ تَزَالُ حَدِيثَةَ السَّيَلاَنِ —
شَاهَدَ الأَطْفَالُ الْحَزَانَى
الصُّوَرَ الْعَجِيبَةَ
صُعِقَ بَابٌ
وَفِي سَاحَةِ الْحَيِّ
أَدَارَ الطِّفْلُ سَاعِدَيْهِ
وَقَدْ فَهِمَتْهُ الدَّوَّامَاتُ وَالدِّيَكَةُ الْقَائِمَةُ فِي أَعْلَى الأَبْرَاجِ
مِنْ كُلِّ الأَصْقَاعِ

(1) اللحية الزرقاء (Barbe bleu)
(2) Costors
(3) Mazagranx

تَحْتَ انفجَارِ هَاطِلِ الْمَطَرِ
نَصَبَتِ السَّيِّدَةُ مِعْزَافا فِي جِبَالِ الألْبِ (4)
وَأقِيمَتِ الصَّلاَةُ وَالتَّقَرُّبَاتُ الأولَى
فِي مَذَابِحِ الْكَتِدْرَائِيَّةِ (5) الْمِائَةِ ألْفِ

وَرَحَلَتِ الْقَوَافِلُ
وَشُيِّدَ النُّزْلُ الرَّائِعُ
فِي فَوْضَى ثُلُوجِ الْقُطْبِ وَلَيْلِهِ

مُنْذُ ذَاكَ اسْتَمَعَ الْقَمَرُ لِلذِّئَابِ
الْعَاوِيَةِ عَبْرَ فَيَافِي السَّعْتَرِ
وَلأغَانِي الرُّعَاةِ الْمُقَبْقَبَةِ الْمُهَمْهِمَةِ فِي الْحُقُولِ
ثُمَّ فِي الْغَابِ الْبَنَفْسَجِي الْمُبَرْعِمِ
قَالَ لِي أوخَارِيوسُ (6)
إنَّهُ الرَّبِيعُ

أيُّهَا الصَّمُّ ... مُسْتَنْقَعٌ
يَا زَبَدُ مُرَّ عَلَى الجِسْرِ وَفَوْقَ الْغَابَاتِ
وَيَا أرْدِيَةً سَوْدَاءَ وَيَا أرَاغِنَ
وَيَا رُعُودا وَيَا بُرُوقا
أصْعَدُوا وَسِيرُوا
وَيَا أيُّهَا الْمِيَاهُ وَالأحْزَانُ

Les Alpes (4)
Cathédrale (5)
Encharis (6)

اطْفَحُوا وَارْفَعُوا الطُّوفَانَاتِ مِنْ جَدِيد
لأنَّهَا مُنْذُ أنْ زَالَتْ
ـ آه لَقَدِ احْتَجَبَتِ الحِجَارَاتُ الكَرِيمَةُ
وَالزُّهُورُ المُتَفَتِّحَةُ ـ
مُنْذُ أنْ زَالَتْ انْتَصَبَ القَلَقُ
وَالمَلِكَةُ تِلْكَ السَّاحِرَةُ الَّتِي تُلْهِبُ جَمْرَتَهَا
فِي وِعَاءِ الطِّين
لَنْ تُرِيدُ أبَدًا أنْ تَرْبِيَ لَنَا

مَا تَعْلَمُ هِيَ
وَمَا نَجْهَلُ نَحْنُ

م . ح .

النزعة الاجتماعية في أدب التوحيدي *

بقلم : توفيق بن عامر

— II —

ب / العيـــــارون

واذا ما كان الغلمان والجوارى يمثلون طبقة متأرجحة بين العامة والخاصة بحكم التبعية للخواص والعيش فى كنفهم فان « العيارين » يمثلون صنفا من العوام المتميزين عن سائر فئات المجتمع اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وهم الى جانب هذا التميز ثائرون على مجتمعهم ثورة الصعاليك فى العهـود السابقة لشعورهم بالمظلمة الاجتماعية ٠ ومظاهر ثورة هؤلاء العيارين العنف وقطع **الطريق وابتزاز** الثروة ابتزازا مما مكن بعضهم من تسلق **السلم الاجتماعى واحتلال منزلة** جديدة ليست لاحد من أفراد طبقته (43) لكن التوحيدى لم يقف عند هذا التصنيف الاجتماعى والثقافى للمجتمع بل قسمه كـذلـك بالرجوع الى أصناف معاشه ووجوه كسبه محللا تأثير البيئة والمعاش فـى أحوال المجموعة البشرية وعاداتها وأخلاقها ٠

2) البـدو والحـضـر

ولقد تحدث فى « الامتاع » عن البدو والحضـر حديثـا لا يخلو فى أغلب الاحيـان مـن سخط عـلى المجتمـع الحضـرى وميـل واضـح الى المجتمـع البدوى بالرغم من انتمائه الى أوساط حضرية منـذ نشأتـه الاولى لكننـا نفهـم فى يسـر بعض دوافـع هـذا السخط اذا عـزونـاه الى واقـع عصـره الحضـارى والى نقـده لذلك الواقـع بصفـة عـامة ٠ ونعنى بـذلك حضـارة القرن الرابع للهجرة تلك الحضارة التى وصلت منذ نصف قرن الى قمة هـرم التطور وشرعت بعد فى الانحدار ٠ فالى هذا الاعتبار نرجع اذن ولعه بتعداد فضائل أهل البادية ورذائل سكان المدينة ٠ يقول فى اهل البادية ما نصه

(*) نشر القسم الاول من هذه الدراسة فى العدد الماضى من « الفكر » ٠

(43) المصدر السابق ص 151 ـ 161 ـ ليلة 38 ج 3

« ان أهل البر وأصحاب الصحارى الذين وطاؤهم الارض وغطاؤهم السماء هم في العدد أكثر وعلى بسيط الارض أجول ومن الترفه والرفاهية أبعد وبالحول والقوة أعلق والى الفطرة والفطنة أفزع وعلى المصالح والمنافع أوقع ومن المخازى آنف وللقبائح أعيف وهذا للدواعى الظاهرة والحاجات الضرورية والعلائق الحاضة على الالفة والمودة والشدائد المؤذية والعوارض اللازبة ولهذا يقال عيب الغنى أنه يورث البلادة وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة وهذا معنى كريم لا يقر به الا كل نقاب عليم » (44) وسريعا ما تذكرنا هذه الفقرة التى تعمدنا ايرادها كاملة لاهميتها بموقف ابن خلدون من الموضوع نفسه خاصة عندما نجده مدعما بفكرة تمجيد الفقر ومنافعه والنعى على الترف ومفاسده ! ولعله من المفيد ايضا أن نستمع الى قول التوحيدى فى اصحاب المدن يقول « وهذا المعنى على هذا النظم قد عدمه أصحاب المدن وأرباب الحضر لان الدناءة والرقة والكيس والهين والخلابة والخداع والحيلة والمكر والخب تغلب على هؤلاء وتملكهم لان مدار أمرهم على المعاملات السيئة والكذب فى الحس والخلف فى الوعد » (45) فليس من المجازفة اذن أن نقول ان القرابة بين هذه الآراء وما نجده فى مقدمة ابن خلدون فى هذه النقطة نفسها أمر لا مجال لانكاره ثم اننا نزداد يقينا وتأكدا من هذه القرابة عندما نرى أبا حيان يتخطى بيان الفواصل والحدود بين المجتمعين البدوى والحضرى ليهتم بالعلاقات بينهما وذلك عند تماديه فى الحديث عن الحضارة وتطورها فاذا به يرسم حضارات الامم والشعوب فى رسم خلدونى واضح يجعلنا نفهم ان تفكير صاحب المقدمة حول العمران وأنواعه وخصائصه لم يكن خلقا من عدم مع العلم بأن ابن خلدون لم يقف حيث وقف أبو حيان بل استغل تلك الآراء وبنى عليها نظرياته الاجتماعية والتاريخية . وفى هذا السياق نفسه يتأمل التوحيدى فى تعاقب الدول معتبرا بما جد فى عصره من زحف على العواصم واغتصاب للحكم وان كان يضرب الامثلة على هذا التعاقب بدولتى اليونان والفرس قائلا « كل أمة لها زمان على ضدها » (46) ويستنتج ان الدولة تكون قوية فى أوائلها لان أهلها لم تفسدهم الحضارة بعد فلا تزال تخضد من شوكتهم حتى يضعفوا وتحل محلهم أمة أخرى وهذا معنى قوله « كل قوم فى اقبال دولتهم شجعان .... وعلى هذا كل أمة فى مبدأ سعادتها أفضل وأنجد وأشجع وأمجد واسخى واجود

---

(44) المصدر السابق ص 86 ج 1 ليلة 6

(45) المصدر السابق ص 82 ـ 83 ـ ج 1 ليلة 6

(46) المصدر السابق ص 75 ج 1 ليلة 6

واخطب وانطق وأرأى وأصدق وهذا الاعتبار ينساق من شيء عام لجميع الامم » (47)

3) العرب والعجم

وتبلغ هذه الصورة الاجتماعية تكاملها بما أضافه الكاتب اليها من وصف للعناصر والاجناس التى زخر بها مجتمعه وقد ركز حديثه خاصة على التوتر الذى سيطر على علاقات العرب والاعاجم والذى تسبب فى حركة الشعوبية • ومن المعلوم أن تاريخ ظهور هذه الحركة سابق لعصر أبى حيان وان أدب القرن الثانى والقرن الثالث قد صور لنا تلك العلاقات المتوترة من خلال الشعر الذى يتهاجا به الطرفان والنوادر التى يتناقلها أولائك عن هؤلاء أو من خلال الروايات والاخبار التى تصف سوء المعاملة بين الجنس العربى والجنس الاعجمى • لكن الحديث عن ظاهرة الشعوبية قد انتقل مع التوحيدى ومعاصريه من مستوى الشعر والنادرة والرواية والادب بصفة عامة الى مستوى القضية العلمية فى المفاضلة بين الامم والمقارنة بينها اذ صار العلماء يتناولون هذه المشكلة بالدرس والنقاش والجدل كما تتناول قضايا علم الكلام • وقد قدم لنا صاحب « الامتاع » مثالا فى كتابه لهذا الجدل والنقاش بين فريق من العلماء والادباء تجادلوا فى الموضوع والفوا فيه كتبا نذكر من بينهم محمد بن أحمد الجيهانى (48) والقاضى أبا حامد المروروذى (49) وأبا الحسن الانصارى (50) وقد شرح التوحيدى موقفه من هذه القضية فى رده على ما ورد فى كتاب الجيهانى من تعصب للفرس وتحامل على العرب ففند آراء الجيهانى التى يعيب فيها على العرب البداوة وشظف العيش والنقص فى العلوم واجتهد فى وصف ما للعرب من حضارة يمكن أن تعادل حضارة فارس

---

(47) المصدر السابق ص 75 ج I ليلة 6

(48) هو محمد بن أحمد الجيهانى نسبة الى جيهان مدينة بخراسان كان وزيرا للسامانيين وهو من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة (الفهرست لابن النديم)

(49) هو القاضى أبو حامد المروروذى توفى سنة (362) هـ أستاذ التوحيدى فى الفقه الشافعي ـ وقد أكثر من النقل عنه فى كتاب البصائر والذخائر ويعده ابن خلكان من أيمة الفقه (وفيات الاعيان I/18)

(50) هو اسم علم مشكوك فى صحته ولعله الانطاكى أحد المهندسين ببغداد توفى سنة 376 هـ وهو أبو القاسم على بن أحمد اصله من انطاكية ونزل بغداد •

وما لهم من معارف دينية لا تقل قيمة عن المعارف العلمية (51) لكن موقف أبى حيان لم يقتصر على هذا الرد انما جهر برأى قيم فى المفاضلة بين الامم حارب به التعصب والتحيز وأسسه على الاعتراف بفضل كل أمة ومزية كل حضارة وعلى اعتبار التكامل بين الامم فى بناء الحضارة الانسانية فكان رأيه أقرب الى الموضوعية والنظر العلمى النزيه يقول فى ذلك « واذا وقف الامر على هذا فلكل أمة فضائل ورذائل ولكل قوم محاسن ومساوىء ولكل طائفة من الناس فى صناعتها وحلها وعقدها كمال وتقصير وهذا يقضى بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مفاضة على جميع الخلق مفضوضة بين كلهم » (52) ويواصل أبو حيان تحليله الحضارى مشيرا الى مبدأين أساسين تقوم عليهما دراسة الشعوب والمجتمعات أولهما المفهوم النسبى للتفاضل ومعناه أن فضل أمة من الامم لا يعنى اشتراك جميع أفرادها فيه وكذلك النقص الذى توسم به الامة لا يشمل كل فرد انتمى اليها · وانما هى أحكام تلقى بصفة عامة وعلى أساس تقريبى نسبى وليست لها قيمة الاحكام القاطعة والنهائية يقول «ثم ان الفضائل المذكورة فى هذه الامم المشهورة ليست لكل واحد من أفرادها بل هى الشائعة بينها ثم فى جملتها من هو عار من جميعها وموسوم بأضدادها يعنى أنه لا تخلو الفرس من جاهل بالسياسة خال من الادب داخل فى الرعاع والهمج وكذلك العرب لا تخلو من جبان جاهل طياش بخيل عيى وكذلك الهند والروم وغيرهم » (53) وثانيهما ان مصير المجتمعات مرتبط بجملة من العوامل والظروف تطبع حضارتها بطابع خاص من بينها عامل الطبيعة والمناخ لذلك فهو لا يكاد يصدق بوجود أمة عديمة الحضارة بل يعتبر ان لكل شعب نمطا حضاريا خاصا به يساهم فى تكوين التراث الحضارى البشرى · وهذا ما جعله يدعونا الى تصور حياة فارسى عاش فى بلاد العرب أو عربى عاش فى بلاد الفرس (54) ولسنا نريد هنا أن نستوفى النظر فى موقف أبى حيان العلمى بقدر ما نريد أن نبرهن على أنه لم يكن شعوبيا عندما تصدى للرد على الشعوبيين ولم يكن ينتصر للعرب ضد الفرس اذا ما كان الجيهانى ينتصر للفرس ضد العرب كما يبدو لنا هذا الموقف طبيعيا من مفكر كان يضيق بما ساد عصره من بلبلة اجتماعية وفتن داخلية وكان يسعى الى ارشاد هذا المجتمع واصلاحه قدر طاقته ·

(51) الامتاع ص 89 ليلة 6 ج 1

(52) المصدر السابق ص 73 ليلة 6 ـ ج 1

(53) المصدر السابق ص 74 ليلة 6 ـ ج 1

(54) المصدر السابق ص 80 ليلة 6 ج 1

ب / الانخرام الاقتصادى

وقد رسم قلم أبى حيان صورا نابضة للانخرام الاقتصادى فى مجتمعه . فهو مجتمع لم توزع فيه الثروة بعدالة واتسعت فيه الشقة بين الطبقات فمن طبقة تعيش فى ثراء فاحش الى أخرى تكابد الفقر المدقع وقد تجمعت الثروة بين أيدى فئة قليلة من الخاصة والرؤساء والاعيان أما سائر أفراد الامة فلا يكادون يجدون القوت الضرورى . وقد وصف التوحيدى ما تعانيه فئة العلماء والمفكرين من ويلات الفقر فذكر حال الفيلسوف ابى سليمان المنطقى بقوله « وحاجته ماسة الى رغيف وحوله وقوته قد عجزا عن أجرة مسكنه ووجبة غدائه وعشائه » (55) ولقد تعمد التوحيدى ذكره فى حضرة ابن سعدان رغبة فى تحسين حاله والتخفيف عنه فأرسل الوزير اليه بمائة دينار ويقول فى وهب بن يعيش الرقى اليهودى وهو رجل متفلسف « انه شديد الفقر ظاهر الخصاصة لاصق بالدقعاء » (56) واما العلوى بن زكريا فقد رآه التوحيدى بجامع الرصافة وقد « نام مستدبر الشمس فى يوم شات وبه من أثر الفقر والبؤس والضر أمر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه » (57) أما أبو سعيد السيلافى أستاذ أبى حيان فقد كان « ينسخ فى اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ليعيش » (58) ونقل التوحيدى قول أبى بكر القومسى الفيلسوف واصفا سوء حاله واضرار الفاقة به « ما ظننت ان الدنيا ونكدها تبلغ من انسان ما بلغ منى ان قصدت دجلة لاغتسل منها نضب ماؤها وان خرجت الى القفار لاتيمم بالصعيد عاد صلدا أملس . » (59) وقد كان أبو بكر هذا على حد تعبير التوحيدى « بحرا عجاجا وسراجا وهاجا » (60) ولقد كانت هذه الحال نتيجة سياسة مالية سيئة لم يغفل أبو حيان عن وصف بعض مظاهرها كغلاء الاسعار فى عهد الوزير ابن سعدان مما دعا العامة الى الهيجان والاستغاثة (61) وهذا الغلاء فى الاقوات من أهم الاسباب التى اغضبت الرعية على وزير صمصام الدولة البويهى وقد ورد فى ذيل تجارب الامم لابى شجاع هجوم العوام على

---

(55) المصدر السابق ص 31 ليلة 2 ج 1

(56) المصدر السابق ص 105 ليلة 8 ج 1

(57) معجم الادباء ـ لياقوت الحموى ج [illegible] ـ ص 161 ـ طبعة القاهرة . بدون تاريخ

(58) المقابسات ص 23

(59) معجم الادباء ـ ج 15 ـ ص 10 ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

(60) المصدر السابق

(61) الامتاع ص 26 ـ ليلة 17ـ ج 2

دار ابن سعدان فی شبه ثورة ! يقول أبو شجاع « وانضاف الى ضيق خلقه ما اتفق فی وقت نظره من غلاء سعر فتطيرت العامة ورجموا زبزبه وشغبوا الديلم عليه وهجموا على نهب داره وانتهت الحال الى ركوب صمصام الدولة الى مجتمعهم حتى تلافاهم وردهم»(62) وهذا أمر يتناسب ما ذكره أبو حيان فی الامتاع من وصف لهيجان العامة عندما مر الوزير بهم ومن شكواهم اليه عوز الطعام وتعذر الكسب ومن رده القاسی عليهم « بعد لم تأكلوا النخالة » ولا يدلنا ذكر أبی حيان لهذه الاحوال الاقتصادية فی سمره مع ابن سعدان الا على رغبته الملحة فی الارشاد والاصلاح وتلافی الخطر · وكان من نتائج تدخله فی هذا الامر أن عزم الوزير على جبر الضرر بتوزيع مال على الفقراء وبالتدخل فی مراقبة سعر الخبز وجعله « ثمانية بدرهم » (63) وبعد هذا فان آثار التوحيدی زاخرة بالاشارات الى ما تردى فيه مجتمع القرن الرابع من صعوبات مالية بعثت العديد من الوزراء على الاستعفاء من مهامهم أو عرضتهم للعزل بعد فشلهم فی تسوية هذه الامور الاقتصادية (64)

ج / تدهور القيم

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الانخرام الاقتصادی تلاشی القيم فی مجتمع ذلك العصر وتدهور الاخلاق وطغيان قيمة واحدة على سائر القيم الاخرى وهی : المال يضحی المرء فی سبيله بماء الوجه وبأصدقائه وذوی قرباه · وأحسن أثر يصور هذه الناحية من المجتمع رسالة التوحيدی فی الصداقة والصديق فقد ذكر لنا أن سبب تأليفه لها هو انعدام الوفاء بين الناس وانتشار الانانية والنزعة الفردية بينهم (65) وقد صور لنافی هذه الرسالة اخلاق فئات من معاصريه من فلاحين وتجار وذكر أن « كسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة » (66) ومن أفصح ما نعت به التوحيدی أصحاب الاسواق فی عهده قوله « فانا لا نعدم من أحدهم خلقا دقيقا ودينا رقيقا وحرصا مسرفا وأدبا مختلفا ودناءة معلومة ومروءة معدومة » (67) فاذا كانت هذه حال هؤلاء فان حال المفكرين والعلماء لم تكن

---

(62) ذيل تجارب الامم ـ ص 85
(63) الامتاع ـ ص 26 ـ ليلة 17 ـ ج 2
(64) الحضارة الاسلامية ـ آدم متز ـ ص 174 ـ 175
(65) الصداقة والصديق ـ ص 2
(66) المصدر السابق ـ ص 4
(67) المصدر السابق ـ ص 6

أحسن منها لما دب بينهم من « التحاسد والتماري والتماحك » ويتمادى أبو حيان في تعميم هذه الظاهرة على شتى الطبقات لايكاد يستثني منها واحدة يقول : « فوالله ما أسمع ولا أرى هذه الاخلاق الا شائعة بين أصناف الناس من الجند والكتاب والتناء والصالحين وأهل العلم » (68) وقد بعث هذا الوضع التوحيدي على سوء الظن بجميع الناس وعلى النقمة عليهم فقال في رسالته الى القاضي أبي سهل علي بن محمد « جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد ولا ظهر لي من انسان منهم حفاظ ولقد اضطرت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة الى أكل الخضر في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة والى بيع الدين والمروءة والى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق » (69) ثم لخص هذه المشاعر اليائسة بقوله « غلب الياس من جميع الناس » (70) ولم يصمت صاحبنا عن نوع آخر من الانحلال الخلقي هو الخلاعة والمجون وهي ظاهرة ترتبط ايضا بالوضع المادي الاقتصادي الذي أشرنا اليه سابقا فكم من غلام سقط في هذا التفسخ بسبب الحاجة وكم من ثري أغراه ماله بتعاطي الموبقات • فهذا «علوان» غلام «ابن عرس» يقول لاهل مجلسه « حاجتي والله اليكم غدا أشد من حاجتكم الى اليوم » (71) وها هو ذا صاحب الامتاع يصف لنا أهل المجلس بقوله : « فلا يبقى من الجماعة أحد الا وينبض عرقه ويهش فؤاده ويذكو طمعه ويفكه قلبه ويتحرك ساكنه ويتدغدغ روحه ويومىء اليه بقبلته ويغمزه بطرفه » (72) وقد عم هذا الولع جميع الناس من عامة وخاصة وصغار وكبار وان كانوا من أصحاب النسك والوقار (73) ولا يعدم القارىء لكتاب الامتاع والمؤانسة أمثلة عديدة تصور وطأة الغلمان على قلوب الخاصة وهو أمر شبيه بما يذكره مسكويه المؤرخ عن الامير عز الدولة من انصرافه عن شؤون الدولة بسبب غلام تركي أسر له في موقعة بالاهواز (74) وقد أثرت هذه الظاهرة في نشاط الفقهاء في القرن الرابع فاجتهدوا اجتهادات مختلفة في تحليل الغلام أو تحريمه (75) • وقد استفحل الامر بانتشار دور

---

(68) الامتاع — ص 62 — ليلة 32 — ج 3 — الصداقة والصديق ص 5
(69) مقدمة حسن السندوبي للمقابسات
(70) المصدر السابق
(71) الامتاع — ص 179 — ج 2
(72) المصدر السابق
(73) المصدر السابق ص 174 ج 2
(74) الحضارة الاسلامية — آدم متز — ج 1 ص 60
(75) المصدر السابق — ج 2 ص 165

خاصة للهو وصفها أبو حيان كما وصفها الثعالبى ولم يكن قاصدها يتكلف لارتيادها سوى درهمين وقد أشار المستشرق آدم متز الى ما أسس فى زمن عضد الدولة من بيوت للفواحش كانت تفرض عليها رسوم وضرائب تؤدى لبيت المال (76) • فمن البديهى اذن أن نعلم أن تدهور القيم فى هذا المجتمع دليل قاطع على ضعف العقيدة وتدهور الدين لان المجتمع الاسلامى يستمد مبادئه الاخلاقية من قاعدة دينية أساسا وقد كان ضعف العقيدة من أبرز ما لاحظه التوحيدى فى مجتمعه فرأى أن الشريعة قد أصبحت وسيلة تبرير لاغراض وأهداف خارجة عن حدودها أى أنها صارت مجرد شكل قانونى لعمليات غير قانونية وهذا معنى قول أبى حيان فى وصف معاصريه « مستمسكون من الملة بما أصلح البضائع وينهون عنها كلما عادت بالوضائع » (77) ويقدم لنا كتاب الامتاع صورة لهذا المجتمع المكون من « أكلة ربا وباغية وشربة خمر » والذى لا يصادفك به سوى « ذئب مستعر بذنبه يختلك عن دينك ودرهمك يكذب ويبخس فى الميزان ويطفف فى المكيال » (78) فهو مجتمع قد تداعت فيه القيم وانقلب سلمها حتى صار « المنكر معروفا والمعروف منكرا » (79) ويبدو أن أبا حيان لا يرى صلاحا لهذه الحال الا بالرجوع الى دين قويم وسياسة صالحة فلقد سئل أستاذه أبو سليمان مرة خلال حوار له مع بعض جلسائه عن صورة الزمان الخالى من الآفات فأجاب « أن يكون الدين طريا ••• والسياسة مغروسة » (80) ومعنى ذلك أن التوحيدى يرجع أسباب هذا التدهور الى عاملين أساسيين هما فساد السياسة وفساد الدين ، كما يرجع نهضة الامة الاسلامية فى العهود السابقة الى صلاح السياسة لذلك نراه يقول على لسان ابن زرعة واصفا تلك العهود السالفة ومقارنا لها بالعهد الراهن « هذا لان الزمان من قبل كان ذا لبوس من الدين رائع وذايد من السياسة بسيطة فأخلق اللبوس وفنى وضعفت اليد بل شلت وقطعت » (81)

د / الفتن المحلية والخطر الاجنبى

وقد انضاف الى ضعف العقيدة واضطرابها تسرب الاثر الاعجمى الى عقائد

(76) المصدر السابق ـ ج 2 ص 174
(77) الامتاع ـ ص 62 الليلة 32 ـ ج 3
(78) المصدر السابق ص 195 ج 2
(79) المصدر السابق ص 17 ج 1
(80) المصدر السابق ص 48 ج 2
(81) المصدر السابق ص 63 ج 3

المسلمين (82) فحدثت البلبلة العقائدية والفكرية وتشعبت المذاهب وحدث بينها تطاحن مستمر وهو تطاحن قائم على التطرف والتعصب . وقد قدم أبو حيان صورة أمينة لتعدد المذاهب والفرق فى عصره فقد كانت بغداد فى عصره مسرحا لجميع الحركات الروحية وكان فيها لجميع المذاهب أنصار (83) ومن أمثلة الفرق والمذاهب الفكرية التى ذكرها التوحيدى ما ورد فى قوله « وصار الناس أحزابا فى النحل والاديان فهذا نصيرى وهذا أشجعى وهذا جارودى وهذا قطعى وهذا جبائى وهذا أشعرى وهذا خارجي وهذا شعيبى وهذا قرمطى وهذا راوندى وهذا نجارى وهذا زعفرانى وهذا قدرى وهذا جبرى وهذا رافضى وهذا مستدركى وهذا حارثى ومن لا يحصى عددها الا الله» (84) وسرعان ما انقلب هذا التطاحن بين المذاهب من صراع فكرى الى فتن دامية وذلك بسبب ما كانت تقوم به الخاصة من تهييج العامة خدمة لاغراضها يقول أبو حيان « وصارت العامة مع جهلها تجد قوة من خاصتها مع علمها فسفكت الدماء واستبيح الحريم وشنت الغارات وخربت الديارات وكثر الجدال وطال القيل والقال وفشا الكذب والمحال وأصبح طالب الحق حيران ومحب السلامة مقصودا بكل لسان وسنان » (85) ويستمر التوحيدى فى التعبير عن أسفه لهذا الوضع القلق ملاحظا أنه وضع بلغ من الفساد مبلغا استوجب شماتة اليهود والنصارى والمجوس وتمادى أيضا فى الحديث عن الفتن الداخلية التى تسببت فيها الفرق الارهابية من الحنابلة والشيعة وما أحدثوه ببغداد من فوضى وشغب (86) وقدم صورة لما حل بهذه المدينة من فتنة عند هجوم الروم على المسلمين عبر «نصيبين» سنة 362 هـ ووصف خوف الناس بالموصل وأخبر فى تفصيله لاحداث هذه الفتنة أنه « شهد أولها وغرق فى وسطها ونجا فى آخرها » (87) كما بين مواقف الخاصة والعامة من هذا الحدث فأما العامة فقد انقسمت الى طائفتين الاولى ترثى لحال الدين وتستنكر الاعتداء والاخرى تستغل الفرصة للعبث والفساد وأما الخاصة فقد انقسمت ايضا الى فئتين فئة تريد الدفاع عن حوزة الاسلام وفئة تريد الاخلاد الى السكون . وفى هذه البيئة المتدهورة ظهرت فئات من مستغلى الوضع ومن الذين يتحينون الفرص

(82) المصدر السابق ص 75 ج 2
(83) الحضارة الاسلامية ـ آدم متز ـ ج 1 ص 110
(84) الامتاع ـ ص 77 ـ 78 ـ ج 2
(85) الامتاع ـ ص 76 ـ 77 ـ ج 2
(86) المصدر السابق ص 147 ليلة 38 ج 3
(87) المصدر السابق ص 150 ليلة 38 ـ ج 3

للسطو على الثروات ولنهب الضعفاء مستعملين فى ذلك حد السيف فاذا بزمر من المتسكعين يتسلقون فجأة سلم المجتمع وينقلب بعضهم من قاطع طريق الى سيد ذى جاه وأمثلة هؤلاء كثيرة ذكر منهم أبو حيان « أسود الزبد وابن كبرويه وأبا الدود وأبا الذباب وأبا الارضة وأبا النوابح » وغيرهم ولعل فى هذه الكنى دليلا على اصحابها (88)

⑤ قيمة النزعة وجدواها

ومن المفيد ـ بعد هذا التحليل ـ أن نتساءل عن قيمة هذه النزعة الاجتماعية فى أدب أبى حيان وأن نتفطن الى ثلاث حقائق بارزة فى هذا المجال : **الحقيقة الاولى هى أن هذه النزعة قد جعلت من أبى حيان ومن أدبه شاهدا على المجتمع العربى الاسلامى فى فترة معينة من التاريخ شهادة أمينة منصفة فبرز لنا هذا المجتمع فى صورته الشاملة واطاره العام بطبقاته وأجناسه وأصناف معاشه** كما برز لنا فى مظهره الحركى مجتمعا يعانى صراعا اقتصاديا وسياسيا ومذهبيا ويستهدف لخطر داخلى وآخر خارجى وقد كان أبو حيان صورة بشخصيته وبأدبه لهذه الملابسات والاحوال **فقد عاش هذا الصراع نفسيا وماديا** . والحقيقة الثانية هى ان صاحبنا لم يكن شاهدا وملاحظا فحسب بل كان منتقدا ومستنكرا لهاته الاوضاع فهاجم الانحلال الاخلاقى والتعصب والعنصرية والفوضى المذهبية وضعف العقيدة ونادى **بمجموعة من القيم الاجتماعية والروحية** أهملها معاصروه والحقيقة الثالثة هى **ان أبا حيان يمثل بحق المفكر الواعى لبوادر التدهور فى المجتمع الاسلامى والمتفطن لمواطن الضعف يحكم فيها عقله ولا يذهب فيها مذهب العاطفة ويقارنها بمواطن القوة فى المجتمعات الاسلامية السابقة لعهده فيصل به تفكيره الى نظرات عميقة** تذكر بنظرات ابن خلدون وان كان يرى دائما ان الحل ممكن والنجاة متيسرة بالرجوع الى الدين والتمسك بسيرة السلف الصالح وان رجل الحكم ـ ممثل السلطتين الدينية والدنيوية هو القادر على انقاذ الامة مما تردت فيه . وهو بتفكيره هذا يمثل نخبة من المثقفين فى عصره كانوا يلاحظون الاوضاع بأسف ويتمنون اصلاحها ولكنهم لا يرون الامر بأيديهم ويشاهدون الخرق يزداد كل يوم اتساعا (89)

ت . ع .

---

(88) المصدر السابق من ص 151 الى ص 161 ليلة 38 ج 3 .

(89) يذكر أبو حيان آراء هؤلاء المثقفين وخاصة منهم أبا سليمان المنطقى .

تحت السور

شعر : عبد المجيد بن جلو

كانت لعينك خلان وأحباب ... ما بالهم بعد ما كانوا هنا غابوا
كأنما الارض لم يزهر بها قمر ... فوق الدوالى ولم يورق لها غاب
ما بالهم أسرفوا فى الهجر مذ نقلوا ... الى عوالم لم يوصد لها باب
كأنما العالم الأدنى الذى تركوا ... به مآثرهم ، هم وأوصاب
ألم يكونوا به والأرض معشبة ... وللنعيم بها وفر وأسباب
ألم يكونوا بتحت السور يرقبهم ... ليل بهيج به شدو وأكواب
ما بين راقصة كانوا وشادية ... شاب الزمان وما شاخوا وما شابوا
كانوا كمعبد إن غنوا وإن طربوا ... اذا الغريض شدا غناه زرياب
قوم يهيمون فى وادى المجون ضحى ... وهم بنهج الهوى فى الليل أنساب
قوم بنوا من عريش الكرم معبدهم ... محرابهم فيه أكواب وأعناب
للحب ترقص ربات الجمال به ... اماله عرفت بالامس اعتاب
إن كان للناس رب يسجدون له ... كذاك للقوم ربات وأرباب
رباتهم يحتسين الكأس من ظمأ ... بصوتهن متى غنين إطراب
يرقصن من فرط ما يلقين من شبق ... يهيجهن على الايقاع رباب
إذا بكى الأمل الداعى رققن له ... تحن منهن للداعين أصلاب
فالحب إما دعا الناعى استجبن له ... هل يستوى فيه إمحال وإخصاب
اطفين للسالك والولهان غلته ... ومهرهن من الندمان إعجاب
و « العقربى » يغنيهم فيطربهم ... ففى قصائده لحن وإعراب
يروى القصائد من حيفا وقرطبة ... والليل من نغم يعلوه جلباب
تسميط بغداد يرويه موشحه ... وفى فنون الهوى والشعر نساب
نديم صدق به أهل الهوى وثقوا ... فما به مرة شكوا أو ارتابوا
وكم سقاه غلام إثر جارية ... تحار من حسنها فى الناس ألباب
فلم يزل يشرب الكأسين فى لهف ... ما عنهما تاب أو ندمانه تابوا
ملامتيا تراه فى تصوفه ... وغيره يظهر الاغضاء أواب
له بدرب الهوى شرع يدين به ... ووجهة لم يحد عنها ومحراب

المنهج و المنطلقات

فى بعض أعمال محمد مزالى :
(وجهات نظر ودراسات)

بقلم : أبو يعرب المرزوقى

ان دراستى هذه ستكون لا محالة جزئية وغير منصفة • فليس من الهين أن يستجلى المرء المنهج المستعمل فى انتاج فكرى كما (45 مقالا و 15 دراسة) وكيفا (منتوجات الشباب ومنتوجات النضج) وزمانا (ربع قرن) وموضوعا (بعدد المقالات والدراسات) • والأعوص منه ان يحاول الكشف عن المقدمات او المنطلقات الفلسفية التى يرتكز عليها ذلك العمل الفكرى • لكن ذلك لا بد منه ، وان كان فى البداية محاولة ، قد يليها تعميق وتنظيم •

ان الاستاذ مزالى نفسه يقول : « ولئن افتقر هذا الكتاب (يعنى كتاب مواقف) فى الظاهر الى وحدة الموضوع ، فان المتأمل فى كل ما احتواه من مقالات قد يتبين الخط الواضح الذى يربط بينها جميعا ويدرك الاتجاه الفكرى والاخلاقى التى تصدر جميعها عنه وتنتمى له، بل قد يستشف النظرة المنطقية الشاملة الهادفة الى الواقع المتغير والاحداث المختلفة المتقلبة ، لذلك رأيت ان يكون عنوان الكتاب : مواقف ! وآثرت ، على وحدة الموضوع ، انتساب المواضيع جميعها الى اتجاه واحد ، واخضاعها الى غاية واحدة ، والوفاء بها الى سلم قيم واحد ونظرة الى الوجود واحدة » (مواقف ص 10) •ويصح هذا القول فى الكتابين اللذين هما موضوع هذه الدراسة ، وان كان الاستاذ قد عنى به كتاب مواقف فقط • وهكذا فان الاستاذ ، بصيغة العنوان ، ثم صراحة ، لا ينكر صعوبة ادراك الوحدة فى منتوجه الفكرى ، وهو اذا حاول بيان ما تتمثل فيه وجدنا ذلك ينحصر فى عامل واحد عبر عنه بكلمات مترادفة هى : الخط الواحد – الاتجاه الفكرى والاخلاقى – النظرة المنطقية – الغاية الواحدة – سلم القيم الواحد – واخيرا نظرة للوجود واحدة • اى ان المؤلف نفسه ، لا يجد لمؤلفاته من وحدة ، الا ثوابت سلوكه كذات خلقية وفكرية وروحية • وهو يصرح بانه آثر ذلك على وحدة الموضوع • ولقد عممت ذلك على كتابى اليوم ، اذ هو يقول ايضا ، فى وجهات نظر ص 7 : « وحددت موقفى منها (اى القضايا المعروضة

فى الكتاب) بصدق ، رائدى الوفاء لما لم ازل اومن به من قيم روحية واخلاقية ، وانتسب اليه من مبادىء وطنية ، واناظل فى سبيله من اختيارات ثقافية » . فصيغة الجمع التى تفيد التعدد توجد فيهما معا ، وان كانت الاشارة فى « الدراسات » أميل للموضوع منها للذات ، فان « الوجهات » تشير الى الذات اكثر مما تشير الى الموضوع . وهكذا فان عامل التوحيد ـ وبوعى من المؤلف ـ يبقى ثوابت سلوكه الخلقى والفكرى .

فهل لنا ان نقنع بما يتوقف عنده المؤلف ، فلا نبحث عن عوامل اخرى ، تتجلى فيها وحدة هذين المؤلفين ؟ ثم ما هى الثوابت السلوكية الخلقية والفكرية التى تنبنى عليها وحدة هذا الانتاج ؟ للمساهمة فى الحل اطرح السؤالين التاليين :

1) السؤال الاول : ما هو المنهج المستعمل فى هذا المنتوج الفكرى ، ان كان واحدا . وما هى ان تعددت ؟ .

2) والسؤال الثانى : ما هى المقدمات او المنطلقات الفلسفية التى يمكن أن ترد اليها جميع العبارات الواردة فى هذين الكتابين ؟

ونختم هذه الدراسة ببيان عوامل الوحدة المنجرة عن المنهج والمقدمات ثم ببيان طبيعة العمل الفكرى الذى يقدمه لنا كتابا الاستاذ مزالى .

1 ـ ما هو المنهج الذى يستعمله المؤلف ؟

يرتكز العمل الفلسفى ، اساسا ، على منهج التحليل المفهومى ، اى على تفكيك المدركات العقلية ، لوعى ما تتضمنه من معان فكرية ، وذلك لتنسيقها فى نظام . اما العمل التجريبى ، فانه يستند على ترجمة التجربة العلمية الى اللغة الرياضية وبنائها بواسطتها . وكل ما عداهما من المناهج مزيج منهما ، يتأرجح بينهما . واذا لم نجد عنصرا منهما فى طريقة ما ، يصبح من الواجب ان نتحدث عن أسلوب فنى أو أدبى وليس عن منهج فكرى يستعمل لمعالجة المشاكل . فما هو منهج الاستاذ مزالى ؟ .. ان الجواب عن سؤال كهذا دفعة واحدة أمر متعذر . لكنه بالامكان أن نجزم ، منذ البدء ، بان منهجه ليس فلسفيا خالصا ، وليس تجريبيا خالصا ، وليس اسلوبا فنيا وادبيا خالصا . ولعله يكون مزيجا منها جميعا . فما هى خصائص هذا المنهج ؟

ان تعريف خصائص منهج ما تعتمد على معايير اربعة : طبيعة ادراك المنهج لموضوعه Mode d'appréhension وطبيعة معالجته له Mode de traitement وطبيعة تأويله له Mode d'interprétation ثم أخيرا طبيعة الوسائل المستعملة لتحقيق الادراك والمعالجة والتأويل .

أ) فكيف يدرك منهج الاستاذ مزالي مواضيعه ؟

ان الادراك ، في هذا العمل، ليس تفحصا مستقصيا ، نظاميا؛ بل هو وليد احداث سنحت ، فقيل أو كتب ما نحن بصدده فيكون الادراك اذن ، ارتسامات أو قراءة تبدو غير مسبوقة ببناء نظامي للظروف المنهجية • أما دليل هذا الزعم فهو تعدد المواضيع ، وتعدد المناسبات ، مع انعدام الرابط بينها في ذاتها ، اذا نحن نحينا عنها تواجدها في هذين المؤلفين • ان منطق علاقاتها بعضها بالبعض ليس وليد نوع الادراك بل هو وليد جريان احداث مستقلة عن النظام النظرى الذى يرتكز عليه المنهج • وهو اذن منطق خارجي Extrinsèque وليس داخليا Intrinsèque : أى غير متأت من ذات الشيء المدروس أو من طبيعة المنهج •

ب) كيف يعالج هذا المنهج موضوعه ؟

ليست المعالجة هنا بناء نظريا ، وليست ملاحظة وصفية وبناء تجريبيا ؛ بل هي ، اساسا ، نظرة تقييمية • ولذلك فان المواضيع ليست موضوع الدراسة ، في هذا العمل ، بل هي في الاغلب ، تورد كشواهد أو كأمثلة •• لاستخلاص العبر او المغزى او لتوضيح المعنى • ان هذه المعالجة تبين نوع القصدية ؛ وهي قصدية تتركب من بنية تقييمية Structure d'une intentionnalité normative

ج) كيف يؤول هذا المنهج موضوعه ؟

ان جميع الاحداث التي هي مواضيع الادراك والمعالجة تؤول بوصفها رموزا او ايات ، تعبر عما يكمن وراءها • وهذا الشيء الكامن هو ، دائما ، من طبيعة نفسية : اى هو شيء ذو نفس فاعلة ، لها مجموعة نوايا وقصود ، جعلت المواضيع ما هي • هو اذن تأويل ، يمكن تسميته بالتأويل النفساني •

د) واخيرا ما هي الوسائل التي حققت بها تلك العمليات ؟

ليست وسائل الادراك والمعالجة والتأويل نظاما من الادوات العلمية S. d'instruments scientifiques وليست نظاما رمزيا S. Symbolique بل هي : التقرير والتوكيد ثم صيغ الاقناع البلاغية ثم الاستشهاد • ففي الصفحتين 222 و 223 من كتاب وجهات نظر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ نجد هذه الوسائل الثلاثة مجتمعة : وسيلة صيغ الاقناع الخطابي = « الم يصنع رجال التاريخ ؟ » • وهو سؤال تقريرى • ثم وسيلة التقرير والتوكيد : « لا نزال نؤمن » • ثم وسيلة الاستشهاد : «ومنذ ثلاثة قرون قال باسكال» •

ان دراسة هذا العمل ، اسلوبيا ، واجبة ؛ وقد تتلو دراسة المنهج ، اذا هي سمحت بالتقدم في هذا الاتجاه • لكن ما هو هذا المنهج وكيف يمكن ان نخصصه ونحدده ؟ انه منهج كلامي ، كما يعرف هذا المنهج كل من الغزالي وابن خلدون : اى هو منهج يعتمد أولا على اعتبار موضوعه المباشر آية أو رمزا لشيء وراء وظيفته ان يدل عليه • وغاية المنهج كشف تلك الدلالة • وهو يعتمد ثانيا على الانطلاق من حقيقة لتدعيمها ولا يذهب الى حقيقة ليكتشفها • ان المؤلف اذن يبلغ حقيقة يمتلكها • وما الاحداث الواردة الا رموز وآيات لما وراءها تدل عليه •

ولا عجب ان يكون الامر كذلك • فطبيعة الموضوع تحدد ، بقدر كبير ، طبيعة المنهج • والمواضيع هنا لا تخلو من ان تكون أحد هذه العناصر : المواقف المعاشة (سارتر وبوفوار والقضية العربية) أو بعض الاعمال الادبية (قصة هكسلي) او نظريات فلسفية (الهيكلية او الوجودية) او بعض المؤسسات (التربوية في تونس) او اخيرا بعض الاحداث (غزو الفضاء) • وكلها تعالج لا كاشياء قائمة بذاتها ، بل في علاقتها بمن اوجدها ، اى : بوصفها مواقف لاصحابها من الحقيقة التى ينطلق منها المؤلف ، او ادلة عن نوايا وقصود ازاء هذه الحقيقة • لذلك استعملت مفهوم التأويل النفساني ، باعتبار النسبة لنفس فاعلة قاصدة ، وراء ما يحدث في الشاهد •

لذلك ، فان هذا المنهج سيكون متسما حتما ، بمحاولات الكشف ، وازاحة الاقنعة ، وكذلك بالجدل والدفاع ورد الفعل Défensif, reâctif, polémique وذلك ان كل شيء ينقلب الى صدام بين مواقف ، لا يستند اى منها في نهاية المطاف ، الا على دعواه امتلاك الحقيقة • ولما كان الاستشهاد عسيرا ، لكثرة ما تردد ذلك في كل المقالات والدراسات ، فاني الجأ لمعطيات احصائية ، من اعداد تلامذة السنة السابعة آداب 4، تبين استحالة الامور الى هذا المصير: ففي دراسة مسؤولية الكاتب ثلاث عشرة استشهادا • وفي د راسة الغاية والوسائل اثنان وعشرون استشهادا • وفي دراسة المواطن والدولة اربعة وعشرون استشهادا • وكلها تكاد تنقسم مناصفة بين نوع الاستشهادات المؤيدة لنظرة المؤلف وبين التى لا تؤيدها ، مع غلبة الاولى في الجملة •

II ـ ما هي المقدمات او المنطلقات الفلسفية التى يرتكز عليها هذا الانتاج الفكري ؟

ان استعمال المنهج الذى وصفنا وتأليف القضايا التى يتركب منها هذا الانتاج الفكرى ، يرتكزان على اربع مقدمات فلسفية او اختيارات مبدئية :

أ) فاولى هذه المقدمات ـ واليها ترد الثلاث الاخرى ـ تتعلق بتصور الاستاذ مزالى لطبيعة الانسان · فهو يقول فى وجهات نظر الصفحتين 221 ـ 222 : « والواقع ان الانسان ـ منظورا اليه من وجهة علم التشريح او الوظائف او المقارنة مع قوى الطبيعة ونواميس الاقتصاد ـ كائن ضعيف واية صدمة بالطبيعة العمياء والقوة المادية الهوجاء قادرة على الفتك به والقضاء عليه ـ · ولكنه ، على ضعفه المادى ، يملك عقلا وشعورا ووعيا وعزما ويملك بالخصوص قدرة عجيبة على تجاوز منزلته الارضية وتكسير اصفاده الاجتماعية والتخلص من حدوده الحياتية فيبدع ويتحرر ويكيف نفسه ومجتمعه بما يراه خيرا وحقا وجمالا » · ان بعد الانسان الروحى ـ العقل والشعور والوعى والعزم ـ يعتبر هنا مبدأ ما بعديا وخلقيا ، له فاعلية المبادىء المحركة بل هو اسمى هذه المبادىء · وفى هذا موقف مثالى ارادى Ideâlisme volontariste ·

ب) والمقدمة الثانية ـ وهى تتلو الاولى كنتيجة لها ـ تتعلق بطبيعة الفعل فى التاريخ · ـ ففى الصفحتين : 242 ـ 243 من كتاب وجهات نظر ، يقول الاستاذ مزالى : « ان التاريخ تحرك بسرعة طيلة الاشهر الاربعة الماضية ـ حركته عزيمة الرجال (1) · فعلى هؤلاء الرجال ان يكونوا فى مستوى التاريخ اى ان يبنوا بمعية شعوبهم وبالتعاون مع كافة القوى الحية فى العالم المصير الافضل الذى سيكون ما يريدونه ان يكون · اذ التاريخ ليس تعبيرا عصريا جديدا عن القضاء والقدر ونواميس الاشياء ، وانما هو جماع جهد الرجال الذين يعيشون من أجل هدف اسمى ويضحون فى سبيل مثل اعلى ، وهو ثمرة جهادهم ودليل حريتهم وعنوان مجدهم وسر عظمتهم » فالانسان ببعده الروحى ـ اى كعقل وشعور ووعى وعزم ـ هو فاعل التاريخ · والتاريخ هنا ، كما نرى ذلك ، دليل على فاعل ، وراءه ، خلقه · وذلك الفاعل هو الانسان ؛ وهو فاعل ، بوصفه نفسا وروحا ، اساسا ؛ اذ هو ماديا ، لا يقاس بالاحداث التاريخية ؛ فكلها تتعداه فى الثقل والقوة ·

---

(1) لا أعتقد أن الأستاذ مزالى يستثنى النساء من الفعل فى التاريخ كما قد نفهم من هذا اللفظ · ولذلك فمعناه هنا الانسان وهو ـ فيما بعد ـ وليد معنى هذه الكلمة بالفرنسية Les hommes وفيها لا تستثنى النساء · لكن السياق يفيد أنه لا يقصد الا المسؤولين السياسيين · وهو غريب ·

ج) والمقدمة الثالثة ـ وهي نتيجة الثانية ـ تتعلق بطبيعة الكتابة، بوصفها احد انواع الفعل الانساني، بل اهم افعاله؛ اذ هي، في جوهرها، فعل البعد الروحي في الانسان؛ اي العقل والشعور والوعي والعزم. يقول الاستاذ مزالي: «وكذلك لا معنى للعبودية من حيث انها عبودية ـ عند الاحرار والعبيد انفسهم ـ ما لم يسمها انسان ويحددها وينعتها بانها شر... الكتابة اذن ابراز للوجود وتحقيق للممكن وكشف عما كان مجهولا ودعوة للعقل حتى يفكر فيما لم يكن يفكر فيه من قبل ويدرك من الاشياء ما لم يدركه ولم يخطر له أن يدركه» دراسات ص 103.

د) اما المقدمة الرابعة ـ وهي اخيرا نتيجة الثلاث الاولى ـ فتتعلق بطبيعة الازمة الحالية التي تعاني منها الانسانية. وهنا، لن اورد استشهادا من المؤلف، لانها تستشف من كل ما كتب، ولانه لا يمكن فهم الحلول التي يقدمها الاستاذ مزالي بدون هذا التأويل. ان الازمة الانسانية الحالية روحية، أصلا. ولهذه الازمة ميدانان واربعة وجوه: اما الميدانان فهما: العالم الغربي، وفيه تتخذ هذه الازمة الروحية شكل الضياع في المادة ونسيان الروح التي عوضتها العنجهية العلمية والعقلانية، ثم العالم الثالث، وفيه تتخذ الازمة الروحية شكل الضياع في الغرب ونسيان الذات، التي عوضها التقليد والتزيي بالعصرانية والعلمانية. واما وجوهها الاربعة فهي التالية: وجه خلقي (وهو استسلام الفرد) ووجه تربوي (وهو موت المؤسسة التربوية او صيرورتها تكوينا مهنيا) ووجه ثقافي (وهو الانتاج الفكري المعبر عن العجز والجبرية) ووجه سياسي (وهو وليد الوجوه الثلاثة الاولى: ويتمثل في انعدام الرؤية الشاملة ذات المبدأ الارادي).

ان هذه المقدمات او المنطلقات الفلسفية الاربعة يرتكز عليها جميع ما عداها. وكل القضايا الاخرى في عمل الاستاذ مزالي ترد اليها، اي انها تمثل مرجعها ومصدرها. ان تشخيص الازمة الانسانية كازمة روحية، يعني انها ليست شيئا آخر غير نسيان روحانية الانسان. وهذا النسيان ليس شيئا آخر غير الموقف الانساني الحالي من التاريخ بوصفه قضاء وقدرا. اما الكتابة باعتبارها كشفا لروحانية الانسان وباعتبارها ما به يكون الانسان، من حيث هو روح، معطيا للمعنى وللوجود الفعلي، اما الكتابة اذن فهي رمز روحانية الانسان ودليلها. ولذلك فالكتابة فعل وايجاد وخلق. وليس من باب المصادفة ان يربط الاستاذ مزالي، في هذا المضمار، بين تصوره للتاريخ كفعل لحرية الانسان وتصوره للأدب. اذ يقول في وجهات نظر صفحة 222 ـ 223: «لذلك

لا نزال ، رغم انسياق الكثير مع ما يعتبرونه تجديدا وواقعية ، نراهن على الانسان الصغير العظيم ، الفاني الدائم ، المتحول الثابت ولا نزال نؤمن بانه حر وان حياته ليست مأساة بل هي ملحمة رائعة وكسب متواصل وخلق ذاتي مستمر • ولا نزال كذلك ندعو الى ادب فحل تتجلى فيه كثافة عالم الانسان بكل ابعاده ، ادب يتلبس بارادة الفرد يبني مصيره بعقله وقلبه وجوارحه ويعيش مغامرته الوجودية بكل اوساعها ، ادب يتحدى المادة وينشد الحرية الحق ويرفض الرفض » • الكتابة وهذا الادب الفحل مترادفان • انهما يعبران عن روحية الانسان الخلاقة وفاعليته في الطبيعة والتاريخ •

III – عوامل وحدة هذا المنتوج وطبيعته :

ان كان المؤلف لم يعين كعامل وحده في اعماله ، الا ثوابت سلوكه الخلقي والفكري، كما اسلفنا في المقدمة، فانه علينا تعميق البحث للكشف عن العوامل الاخرى التي قد تساعد على تثبيت معالم هذه الوحدة • وسنحاول هنا عرض هذه العوامل عرضا نظاميا مستقصيا Systématique • فكل قسم من قسمي هذه الدراسة السابقين قد ابرز عاملين دون الاشارة اليهما • فلنوضح ذلك •

لقد انتهى البحث المتعلق بالمقدمات او المنطلقات الفلسفية الى هذين العاملين : عامل ذاتي وعامل موضوعي •

1) فاما عامل الوحدة الذاتي ، اي المنسوب الى ذات العارف ، فيبرز في المقدمات الفلسفية على شكل عقيدة يذود عنها المؤلف لا حقيقة يبحث فيها • وهذه العقيدة سامية ومتعالية Transcendentale • وهي ذات مستويين : مستوى ما بعد طبيعي ، ومستوى خلقي • المستوى ما بعد الطبيعي يتمثل في المبدأ الروحاني الذي هو الانسان في العالم الدنيوي والله في الوجود المطلق • ويتعلق المستوى الخلقي بما ينجر عن ذلك من حرية ومسؤولية يجب ان يمارسا في الفعل التاريخي بوصفه عملا خلقيا في جوهره •

2) واما العامل الموضوعي ، أي المنسوب الى موضوع المعرفة ، فلقد اتخذ في المقدمات الفلسفية ، شكل مظاهر الازمة الانسانية الحاضرة التي تمثل كلها موضوع البحث والتقصي الذي يقوم به الاستاذ مزالي • ان تعدد المواضيع لم يبق تعددا مهما كما رأيناه ، عند الحديث عن المنهج ، بل صار تعددا لمظاهر شيء واحد ، هو أزمة الإنسان الحالية • ان الموضوع الواحد ذا المظاهر المتعددة ، الذي يدرسه الاستاذ مزالي ، هو الازمة الروحية التي تعاني منها

الانسانية الحاضرة . ولهذه الازمة كما رأينا مسرحان ، قومي وانساني ، واربعة مظاهر ، خلقي وتربوي وثقافي وسياسي . وهكذا فالموضوع الواحد الذي اشار الاستاذ مزالي الى وجوده في الباطن هو ، ان صحت نظرتنا هذه ، أزمة الانسان الحاضر – وهذه الازمة ، كما اشرنا اليه سابقا ، هي نسيان الانسان لجوهر الانسان ، اي الاستسلام لجاذبية الارض ولحتمية التاريخ .

وانتهى البحث المتعلق بالمنهج الى عاملي توحيد كذلك : احدهما منهجي والآخر موقفي .

3) فاما العامل المنهجي فهو ما سميناه بالمنهج الكلامي ، اي : أولا ، المنهج الذي ينطلق من الحقيقة ليدافع عنها وليس ينطلق اليها للبحث فيها ، وثانيا ، المنهج الذي يعتبر المواضيع التي يعمل فيها فكره آيات ورموزا لشيء روحاني خلفها ، وهو ارادة النفس التي بدرت منها تلك المواضيع ؛ فلا ينظر اليها من حيث هي هي ، بل من حيث هي تعبير عن تلك النفس ودليل لها .

4) واما الوحدة الموقفية ، أخيرا ، فتتمثل فيما ينجر عن ذلك المنهج من موقف ازاء مواضيع الفكر التي هي كلها ذوات انفس ، اي حية : انه الموقف النفساني الذي يتصف برد الفعل وبالدفاعية (يلي العقيدة) .

ان الوحدة الرئيسية تبقى اذن الوحدة المنسوبة لثوابت ذات المؤلف – . والاستاذ مزالي واع بذلك ، اذ هو يعترف بالاستعاضة عن الوحدة المنسوبة للموضوع ، بوحدة منسوبة لثوابت الذات . وتلي هذه الوحدة في الاهمية الوحدة الموقفية ثم المنهجية واخيرا الموضوعية . لذلك لا يناقض هذا ما ذكرناه في المنهج .

بعد بيان المنهج والمقدمات وعوامل الوحدة يصبح بامكان المرء أن يعرف طبيعة هذا العمل الذي نحن بصدد دراسته . انه عمل يمكن أن ننسبه للفلسفة العملية في بعدها التطبيقي ، لا النظري . لذلك يغلب عليه طابع الدعوة الخلقية . وان اجراء عمليتي كشف على هذا العمل يؤيد هذا المذهب . فان طبيعة الاستدلال في المؤلفين خطابية وليست برهانية اي انها تعتمد الادلة المقنعة والمؤثرة لا المبرهنة . أما أغلبية الجمل فهي انشائية تتجه للمخاطب ، او تتحدث عن الذات . ولا غرابة في ذلك ، فالاستاذ مزالي يعتمد ، اساسا ، تجربته الشخصية ، كرجل عمل ، تحمل المسؤولية المباشرة في الحياة السياسية . ولذلك فاقواله تندرج ضمن افعاله ، وليس العكس ؛ اذ هي تتمة للعمل السياسي ، بل وسيلة بين يديه وجزء منه .

وليسمح ، استاذنا ، بان أتوجه اليه بالاسئلة الاربعة التالية ، فى ختام هذه الكلمة :

السؤال الاول : وهو وليد عامل الوحدة الذاتي : كيف توفق بين الايمان بالالاه الخالق وبين المقولة الوجودية التى تعتبر الانسان معطيا للمعنى وموجودا بواسطة افعال العقل اجمالا والكتابة خصوصا ؟ ..

السؤال الثاني : وهو وليد عامل الوحدة الموضوعي : لقد عينتم طبيعة الازمة الانسانية على انها روحانية اساسا . واعتبرتم مظهرها القومي الضياع الذاتي ومظهرها الغربي الضياع في المادة . واخترتم حلا قوميا الاصالة وحلا انسانيا الروحانية والايمان بالانسان . فما هي الروحانية المتضمنة تحت الاصالة بالنسبة لنا اهى روحانية الاسلام ام الروحانية الانسانية ؟ أم هما شيء واحد ؟

السؤال الثالث : وهو وليد عامل الوحدة المنهجي : ان تصورك لتدريس الفلسفة بتونس يجعل الفلسفة وسيلة تأصيل . فهل هي تلعب الدور الذى يختص به المنهج الكلامي الذى يخدم عقيدة ما ، أو المنهج الذى يبحث عن الحقيقة . وبماذا يختلف وموقفك هذا عن موقف الذين تكتب لنقدهم فى تصورهم لتعليم الفلسفة ، واعني هنا المحتوى والدور لا اللغة والاتجاه ؟

والسؤال الرابع والاخير وهو وليد عامل الوحدة الموقفي : هل ترى فرقا بين الموقف الدفاعي في المدرسة الكسموثونية (1) التى أماتت الفكر العربى بعد الثورة الاسلامية ، والمدرسية السسيوثونية (2) التى قد تميته بعد النهضة ؟

ا . ى . م .

(1) Scholastique cosmogonique
(2) Scholastique sociogonique

اذا كان يوم

شعر : فتحي الجلاصي

أيا أمـى إذا ما كان يوم　　وطاف بغرفتى ملك المنون
وجئت الى كالحسون تمشى　　بتوئدة لكى لا تزعجينى
فراعك يا أميمة طول صمتى　　وروعك ارتخاء فى جفونى
وهالك عندما أمررت كفا　　برود استقر على جبينى
فصحت : « بنى » لكن لم أجبك　　وكم لبيت ما أن تسألينى
فأطبق حول عينيك الظلام　　وشق عليك أنك لن ترينى
وجار عليك دمع قد همى فـ　　ـارتميت على سريرى تندبينى

* * *

أيا أمـى إذا ما كان يوم　　وصار العمر فى طى السنين
وحال أميمتى بالرغم منى　　قضاء دون من أهوى ودونى
فلا تضحى العبوسة للحياة　　ولا تمسى الاسيرة للشجون
ولا تتبرمى بقضاء ربى　　وكونى ما أريدك أن تكونى
مثالا للتجلد والثبات　　ومؤمنة بربى كل حين

* * *

أيا أمـى إذا ما كان يوم　　وسل الموت روحى فى سكون
فصلى يا أميمة بعد موتى　　وقولى فى المسا إن تذكرينى :
« إلاهى ارحم بنى وعز قلبى　　فان القلب أدماه حنينى
وإن الشوق يسمعنى اسم ابنى　　ترتله الطيور على الغصون
وتهمسه الجداول والسواقى　　ويحمله أريج الياسمين
فسكن يا إلاهى نار شوقى　　وكفكف يا إلاهى من حنينى »

ف. ج.

الترادف والاشتراك في اللغة

بقلم : محمد المنصف بودن

اختلاف العبارات والاسماء يوجب اختلاف المعاني . فالاسم كلمة تدل على المعنى دلالة إشارة ، واذا أشار الاسم الى الشيء مرة واحدة ، وعرفت دلالته عليه ، فالاشارة اليه مرة أخرى غير مفيدة . واذا أشار الاسم فى المرة الثانية والثالثة الى خلاف ما أشار اليه فى المرة الاولى ، كان ذلك صوابا . وإن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني ، فان كل واحد منهما يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا فان الثانى يكون زائدا لا يحتاج اليه .

قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم **شرعة ومنهاجا** » . قال المبرد فى تفسير هذه الآية : عطف شرعة على منهاج لان الشرعة لاول الشيء ، والمنهاج لمعظمه ومتسعه . يقال : شرع فلان فى كذا ، اذا ابتداه ، وأنهج البلى فى الثوب ، اذا اتسع فيه . قال المبرد : ويعطف الشيء على الشيء ـ وإن كانا يرجعان الى شيء واحد ـ اذا كان فى أحدهما خلاف للآخر ، فأما اذا أريد بالثانى ما أريد بالاول ، فعطف أحدهما على الآخر خطأ .

جاء فى المنجد فى شرح مادة : « شرع » شرع : سن شريعة . شرع الطريق : أظهره . شرع الباب الى الطريق : أنفذه اليه . شرع الحبل : أدخل طرفيه فى العروة . شرع فى الماء : دخل فيه ، شرع الوارد : تناول الماء بكفيه أو بفيه . شرع الماشية : أوردها الماء . شرع الامر : بدأه . شرع يضرب : أخذ يضرب (من أفعال المقاربة) . الشرعة أو الشرعة : العادة . وكلها معان تفيد ما أشار اليه المبرد فى تفسيره .

وشرح مادة « نهج » جاء فى المنجد بمعنى : انبهر وتتابع نفسه وأخذ يلهث . نهج الثوب : بلى . نهج الثوب : أخلقه . نهج الامر : أبانه وأوضحه. نهج الطريق : سلكه . أنهج الدابة : سار عليها حتى انبهرت . النهج : الطريق الواضح . المنهج والمنهج والمنهاج : الطريق الواضح . المنهج : الثوب الذى أسرع فيه البلى . وهذه معان تفيد أيضا ما أشار اليه المبرد فى تفسيره . ذلك شاهد أول ـ من القرآن الكريم ـ على ما نحن بصدد تقريره .

والشاهد الثانى ـ من كلام العرب ـ قول الشاعر :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا **مال** وذا **نشب**

ذلك إن المال يعنى به ما ملكه الانسان من جميع الاشياء ، وهو عند أهل البادية يطلق على النعم والمواشي ٠ وإن النشب هو ما ينشب ويثبت من العقارات ٠ ويبدو لى أن المال أخص من النشب ، فالاول يختص بالصامت من المملوكات ، والثاني يعم الناطق والصامت من الاشياء ٠ ومن جهة أخرى يختص النشب بالعقار ، وهو كل ما له أصل وقرار كالارض والدار ، وهو معنى قول أبي هلال العسكري : « ما يثبت وينشب من العقارات ، ويعم المال الثابت والمنقول من الاشياء » ٠ وهذه المعاني والفروق بينها جاءت في المنجد عند شرح مادتي : « المال » و « النشب » ٠ وفي « باب العين » يعرف أبو الحسن الجرجاني العقار بما له أصل وقرار مثل الارض والدار ، وهو تعريف يناسب معنى النشب عند أبي هلال العسكري ، إلا أن العين مضمومة في تعريفات الجرجاني : « العقار » ، وهي في المنجد مفتوحة : « العقار » ٠

والشاهد الثالث قول الحطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند ، وهند أتى من دونها **النأي** و **البعد** ٠

فالنأي أدنى ما يبلغ اليه الذاهب عنك ، والبعد هو الذهاب الى الموضع السحيق ٠ والمعنى : أتى من دون هند النأي الذي هو أول البعد ، والبعد الذي يكاد يبلغ النهاية ٠ والمنجد لا يفرق بينهما في مادة « نأى » ، وفي مادة : « بعد » يعمم ، فيجعله ضد « قرب » فيعم بذلك أول البعد وغايته ٠

قال أبو هلال العسكري : « والذي قاله ههنا في العطف (يعني المبرد) يدل على أن جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا من « العقل واللب » و « العلم والمعرفة » و « الكسب والجرح » و « العمل والفعل » معطوفا أحدهما على الآخر ، فانما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق في المعنى ٠٠ ومعلوم أن من حق المعطوف أن يتناول غير المعطوف عليه ليصح التعاطف بينهما ٠ إلا أن يذكر الثاني تفخيما ، ويفرد عما قبله تعظيما ، قال الله تعالى : من كان عدوا لله وملائكته ورسله **وجبريل وميكائيل** (قراءة قالون عن نافع) ، فعطف جبريل وميكائيل على الملائكة — وهما منهم — وأفردا بالذكر بعدهم تفخيما وتعظيما ٠

* * *

ومن القواعد المقررة عند بعض النحويين : **أن اللفظ لا يجوز أن يدل على معنيين مختلفين** ، حتى تزاد علامة مميزة لكل واحد منهما ، وإلا أشكل وألبس على المخاطب ٠

قال أبو هلال العسكرى : « وليس من الحكمة وضع الادلة (الكلمات) المشكلة إلا أن يدفع الى ذلك ضرورة او علة ، ولا يجيء ، فى الكلام غير ذلك إلا ما شذ وقل » .

مما تقدم ، يذهب بنا القول مذهب القائلين بمنع **الاشتراك والترادف** فى اللغة ، فكما **لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين** (المشترك) فكذلك **لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد** (المرادف) .

قال أبو هلال العسكرى : « لأن فى ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه » . والمنجد ــ وإن ذهب هذا المذهب فى خصوص المرادف ــ حيث قال : ترادفت الكلمات : تشابهت فى المعنى : ولم يقل : تساوت . فالتشابه يكون من بعض الوجوه . لكنه يخالف هذا المذهب فى تفسير المشترك ، حيث يقول : لفظ مشترك : تشترك فيه معان كثيرة كالعين . فهو ــ كما ترى ــ ليس له موقف لغوى محدد ومدقق .

أما أبو الحسن على الجرجانى فيذهب فى تعريفاته خلاف هذا المذهب تماما ، فيعرف المرادف بأنه **ما كان مسماه واحدا واسماؤه كثيرة** ، وهو خلاف المشترك الذى يعرفه بأنه **ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير** ، كالعين: لاشتراكه بين المعانى . ومعنى الكثرة ما يقابل الوحدة ، لا ما يقابل القلة ، **فيدخل فيه** المشترك بين المعنيين فقط ، كالقرء والشفق ، فيكون مشتركا بالنسبة الى الجميع ، مجملا بالنسبة الى كل واحد . فالقرء هو الوقت ، **ولكن ، أى وقت ؟ أهو ما بين الحيضة والحيضة ، أم هو ما بين الطهر والطهر ؟**

ويذكر الجرجانى تفصيلا لانواع المشترك ، فيقول : « والاشتراك بين الشيئين انكان بالنوع يسمى : **مماثلة** ، كاشتراك زيد وعمر فى الانسانية . وان كان بالجنس يسمى : **مجانسة** ، كاشتراك انسان وفرس فى الحيوانية . وان كا بالعرض ، ان كان فى الكم يسمى : **مادة** ، كاشتراك ذراع من خشب وذراع من ثوب فى الطول ، وان فى الكيف يسمى : **مشابهة** ، كاشتراك الانسان والحجر فى السواد . وان كان بالمضاف يسمى : **مناسبة** ، كاشتراك زيد وعمر فى بنوة بكر . وان كان بالشكل يسمى : **مشاكلة** ، كاشتراك الارض والهواء فى الكروية . وان كان بالوضع المخصوص يسمى : **موازنة** ، وهو ألا يختلف البعد بينهما ، كسطح كل فلك . وان كان بالاطراف يسمى : **مطابقة** ، كاشتراك الاجانتين فى الاطراف » .

م. م. ب.

تحديات «دون كيشوت» للأحوال الجوية

شعر : حسن بن ذياب

① الخـريــف :

آت إليــك ..
برغم الهم والحزن ..
برغم الخوف والشجن ..
أحزان ليل خريفية تطاردنى ..
تروعنى .. وترعبنى ..
وتزرع لى فى كل مفترق
مقاصل للصلب والشنق ..
يزداد قلبى فى الخفق
وترقص نواقيس خضر
لتوقظ نبضى فى عرقى ..

* * *

و « دون كيشوت » فى جسدى
ينادينى إلى الجلد ..
ويسقينى على عجل
كؤوس « الشيح » مطبوخا
مع « الزعتر » فى عرقى ..
فذاك دوائى عودت
على شربه فى المرض
وحين الشدة والقلق ..

* * *

وصوت جدتى فى الآفاق أسمعه ..
يردد لى .. ويحكى لى

بطولات الهلالى
وأجداد لنا غبروا
فما كلوا ٠٠ وما وهنوا ٠٠
وما عبؤوا لأخطار
خسرناهم الى الأبد ٠٠

* * *

آت إليـك ٠٠
فغم الخوف من جنبى قد ولى
وطيف الجدب فى آفاقى ما حل ٠٠
فها أشجارى أنا تنمو ٠٠
برغم الغيم خريفيا ٠٠
تظل تظل الى الأبد ٠٠
حنانيك اذا أذوت ٠٠
أو اصفرت وريقاتى ٠٠
مدى ذراعك غذيها
لتحيى لى حناياى
وتذكى الروح فى جسدى ٠٠

* * *

② الـربيـــع :

آت إليـك ٠٠
برغم الحرس والعسس
برغم « الغول » يحاسبنى
على حركى ٠٠ على همسى ٠٠ على نفسى ٠٠
صراصر ليل ربيعية تراقبنى
تتابعنى ٠٠ وترهبنى ٠
....
آت إليـك ٠٠
أثمار الشجر فى جنبى قد ينعت
....

آت إليــك ..

فيا زهرى ..
ويا عشقى الذى قد هز لى أمسى
مراكب الشوق من أبعادى قادمة ..
مدى ذراعك ..
ضميها وضمينى ..
ويلى أنا إن طال بى أمرى ..

* * *

③ **الصيـــــف :**

آت إليــك ..

برغم قروحى قد دميت ..
برغم الشمس تحرقنى ..
ولفح الريح فى جسدى ..
أحلام ليل صيفية .. تراودنى
ولا تهدأ تعاودنى ..
وتفتح لى فى كل مملكة ..
أبواب العشق والحب ..
وتغرينى .. وتغوينى ..
وتحمل بين كفيها ..
تفاح الشمس سماويا ..
وعنقودا من العنب ..

* * *

آت إليــك ..

أيا أمى .. ويا بلدى ..
أساطيرى أنا طمست ..
وأوهامى أنا درست

فها « جلجامش (1) » يمنحنى
صكوك التوبة والقوة ..
لأعبر عالم الخلد ..
وها « عشتار » (2) قد زرعت
أقمار العالم الآخر
فوانيسا على دربى ..

* * *

آت إليـك ..
معى أملى
آت إليـك ..
على عجل ..
آت إليـك ..
فضمينى ..
وعلقى لى على صدرى
حروزا كنت حفظتها ..
أما قلت :
« تخافين على (مضنونك) من الحسد » ..

ح. ذ.
تونس : 1974/4/19

---

(1) **جلجامش** : تعنى « الذى رأى كل شىء » ..
(فى الأسطورة البابلية) هو ملك مدينة « أوروك » .. سافر الى العالم العلوى بحثا عن الخلود فى الأرض .. لكنه رجع خائبا لأن الآلهة قررت الفناء لكل كائن أرضى .. وقد حاول لذلك القيام بأعمال تخلده ..
(2) **عشتار** : هى آلهة الخصب والنماء والحب عند البابليين ...

موشح اندلسى

« على نغمة الفلامينكو »

قصة ، بقلم : محمد الحبيب براهم

اشتد الرقص وماد المقهى الصغير بمن فيه · وتأمل ما حوله · مقهاه صغير كالتحفة ، حشائشه تتسلق الجدران فتكسوها · كل البنايات مسدلة الشعور خصلات خضراء تتهدل هامسة أغنية الخصب والرواء مقاعده قليلة مبثوثة فى الاركان المعتمة إلا من أشعة خافتة اندست بين النباتات المغفية الحالمة ·· وتصاعدت فى فناء المجلس الصغير دقات كعاب أقدام الراقصة لولبية الحركة حادة لينة ، شديدة مترفقة ، مهتزة منسابة تملأ الفضاء وتلهب الأعين والأكف فى تخمر مجنون ··· ولهث بصعوبة الفلامينكو العربيد ! طرقات الكعاب فى رأسه ، تغوص فى وجدانه ، تنغرس طعنات يستعذبها ···

وتخيل وقعها السريع دماءه سيالة متوهجة ··· وبلغته هتافات الاعجاب تراتيل تصاحب الحياة المحتضرة فى رقصة الطائر الذبيح يتهادى ويترنح·· واستخفه الطرب وود لو حلق بعيدا ، لو تبين فى الفضاء دروبا يتسلقها نحو اللامحدود · وتحرك فى مكانه ··· وخيل اليه أنه يسير ··· وأسلم أمره · سار ··· وانسابت حواليه الانغام ··· سار تتلقفه الازقة الملتوية فى قرطبة العتيقة · لم يكن يلوى على شىء · يلفه الظلام وتغيبه المنعطفات الحلزونية · ما خشى الضياع فقرطبة العتيقة يحتضنها السور رفيق صبا وعلامة تهدى · وطال سيره · كل الازقة منتشية جذلى انبثت فيها المقاهى الصغيرة وعمرها « الفلامينكو » اللاهث نفس الشكل يعاود ناظريه · كل المنازل حبات عقد واحد · كل منزل تحفة ··· فناؤه صحو من السقف ووسطه يتضوع نافورة تصغر وتكبر وحيطانه صفحات فسيفساء مشعة وكله باقة عشب وزهر ··· وتنهد · وواصل السير تلفه أزقة كالعقد تبتلع الصحو والضوع والفسيفساء والزهر · أزقة يجثم عليها الظلام ويدغدغها الفلامينكو ··· ولهث ··· ولم يتبين فى نفسه مقصده ··· ولكنه سار ،

فالسور علامة تهدى ٠٠٠ ورنت فى أعماقه أصداء الموسيقى صاخبة مطاردة ٠٠٠ وعاد يريح جسمه المسافر فى ذكريات لا تنتهى فتغفو منه النظرات على الراقصة ٠٠٠

ـ « سيدى ، أنحجز لك الليلة مكانا فى السهرة الراقصة ٠٠٠؟ »

وأومأ بالايجاب أيزور قرطبة ولا يشهد رقصة الفلامينكو ٠٠٠

كانت عينا الحسناء المواجهة له فى الطاولة المقابلة تتوهجان ٠٠٠ وساد الظلام الطريق أمامه ٠

وضاقت الازقة ولم يعد يرى سوى العينين الواسعتين يرقص الحور فيهما على نغمات الفلامينكو ٠ كانت وحدها ٠ وأحس بوحدته وهو يشق المجهول ٠٠٠ ألم يدعها أحد للرقص ! وقوى ظلام الزقاق ٠٠٠ وفتح عينيه بغتة ، شاهدها تنهض للحلبة ٠ وتابعها ثوبا فاحما طويلا وجسما بضا ناعما متموجا وتسمرت عيناه تعبدا ووراء السحر يملأ عليه أعطافه ٠ وتهادى يسير فى اعياء المترنح ٠٠٠ وضاق صدره والظلام لا يتبدد ٠٠٠ انها تبتسم ٠٠٠ وعبق الجو شعاعا يفتر عنه فم الفضاء المثخن أصداء وتوقيعات ترتج ٠ ونهض اليها ٠ كانت تبتسم ٠ وجلس بجوارها ٠٠ واهتز ٠ كاد يصطدم بحجارة السور وتبخر الزقاق الطويل وتوقف باحثا ٠٠٠ لم ينطق ، أفحمه حضورها قربه ٠ صمتا الا من النظرات يشربانها فى امعان ٠ وتلبد المقهى ودخانا ورقصا ٠٠٠

ـ « هل أعجبتك قرطبة ؟ »

وارتسمت فى نهاية الزقاق فجوة منفرجة وأطل وتنهد منه الصدر ٠٠٠ وسار بلهفة ٠ ووقف كالمطعون ٠ وانغرست فى ناظريه صورة الصومعة يخلع فيها الصليب رنة الاذان ٠ وسار من جديد بين سوارى الجامع المطرق ٠٠٠ وجاشت نفسه ٠ وجثا على الارض قرب المحراب تمثال العذراء !

وابتلع الصورة ٠٠٠ واستند الى الارض مرة أخرى ٠

ـ « أراك شاردا » ٠

لم ينظر اليها ٠ هدهده صوتها المنغم ٠٠٠ وأغمض جفنيه تخدره نسمات أناملها المربتة فى سحر خبير على ظهر يده ملقاة فى استرخاء على وجه المنضدة ٠ ولامسته شعرات متطايرة غنجا لعوبا فنفحه عبير مضواع وسرى اليه من رفيقته الزاحفة عليه قربا وئيدا دفء لذيذ ٠ وازداد فى مقعده

استرخاء • المئذنة والصليب ، المحراب والعذراء •• ونهض وعاد يسير ، وأعجبه العشب فى زاوية قصية من الفناء الخارجى يحيط بالجامع المهيب فجلس ••• جمد فى مكانه يستملى سماء لا يحجبها ظلام او بناء • وطال جلوسه • وانتفض فجأة اذ رن امامه على الارض بريق • كانت قطعة نقود • ورفع حاجبيه دهشة • وابصر ظهرا يولى وادرك ان يدا حانية خالته بائسا متشردا • وتأمل قطعة النقود • وغامت عيناه • وتذكر الصليب يعلو الجامع ورنت قطعة النقود ••• صدقة الصليب المسافر يصلى فى المحراب وضحك كالباكى •

ـ « أأثارت قرطبة شجونك ؟ »

وفتح عينيه المتفوحتين •••

ـ « أترقص ؟ »

واحتضنتهما الحلبة المزدحمة •

ـ « أمهموم ؟ »

ولم ينبس •• وابتسمت حانية •••

ـ « أراك تضغط على كثيرا ••• أهذه احضانك ؟ »

وابتسم بمرارة وهو يجيب :

ـ « تماما كما يحتضن الصليب المئذنة ••• »

وتظاهرت بانها لم تفهم ••• لم تعلق •

ـ « أتدرى اننا نشتم رائحتكم من ازقة قرطبة العتيقة •• »

وتذكر الازقة المظلمة الطويلة تفوح منها رائحة الفلامينكو اللاهث تحت وقع الاقدام المجنونة •• وألصق وجهه بشعرها الفاحم المنسدل وهمس :

ـ « أأصبحنا عندكم رائحة ؟ »

وتمايلت عليه •

ـ « وأنا ؟ كيف ترانى ؟ »

وارسل نظره فى الراقصين ، فألفاهم ينسابون وأحس انه يفتقد شيئا•• وعادت قرقعة لطيفة لكعاب مجنحة تدق الارض وتحيلها سماء •• وعانقت اذنيه لمسات الفلامينكو يصدح مع الراقصة تملأ الحلبة وتطغى •• وأدرك ما كان يبحث عنه •

ـ « أنت • أنت عطر »

لوحت برأسها فى دلال وأنوثة •

ـ « هكذا انتم دوما • عبيد المجاز وتجار زخارف الالفاظ »

واندهش مستفسرا •

ـ « أدرست لغتنا ! »

واستندت الى صدره مسرة ٠

ـ « أزقتكم تنطق ٠٠ رائحتها أوضح من اللغة ٠٠ »

وتمتم فى حسرة ٠

ـ « أزقتنا ٠٠٠ قرطبة العتيقة ٠٠ بل قولى ازقتكم ٠٠ »

وصمت قليلا ليواصل فى ألم حالم ٠

ـ « لقد سرت فيها طويلا ٠٠ مشيت حتى لفنى الظلام فلم أعد أستبين الطريق ٠٠ وصدمنى السور فأفقت ٠٠ سرت باحثا فضعت ، لم أتـوقف والظلام يعمينى والفلامينكو يطاردنى وبحثت ولم يستوقفنى ما أنشده لانه ما كان موجودا ٠٠ سرت طويلا ثم وصلت٠٠٠ ووجدت المئذنة صليبا وبكيت صلاة على العشب فى الفناء فنزلت على رحمتكم صدقة ٠٠ منة كبرى ٠٠ »

وتأملته شفتين مرتعشتين وصوتا متهدجـا وعينين حـالمتين وهمست مازحـة :

ـ « اتعبك السير فيما ارى ٠٠ ولكنك لم تبرح مكانك ٠٠ »

ورد بتريث مدروس ٠

ـ « لو عرفت معنى السفر بعيدا ٠٠٠ »

وصمتت وبان عليها الجد وهى تقول :

ـ « معذرة ٠٠ منذ أبصرتك وحدك ادركت ما بك ٠ عرفت انك تحلـم بعينين مفتوحتين ٠٠ »

وقاطعها منتشيا ٠

ـ « حلم قديم ٠٠ كقرطبة العتيقة ٠ »

ثم التفت اليها وغمز ممازحا كالجاد ٠

ـ « حلم عاودنى وأنا أنام فى حور عينيك واتلفع بسـواد الليـل فى خصلاتك ٠٠ »

واهتـزت ٠

ـ « أوه أووه ٠٠٠ انت شاعر ٠ »

ولما لم يجب واصلت ممططة الحديث ٠

ـ « لماذا تحبون تشبيه المرأة بالطبيعة ٠٠ »

وبلا وعى أجاب :

ـ « لانها الطبيعة ٠٠٠ »

وشعرت بالرغبة فى معاكسته ٠

ـ « ولكنكم احيانا تسفون ٠٠٠ »

ورفع عينيه دهشا ٠
واتمت كلامها مندفعة ٠
ـ « يحيرني مثلا انكم تشبهون المرأة بالقمر ٠٠٠ »
وتذكر الازقة الملتوية المظلمة ٠٠٠ يطارده القلق ويقتفى خطاه الفلامينكو اللاهث ٠٠٠ وعدم القمر وقتها ٠٠٠
ـ « والغرابة ؟ »
ـ « القمر مذكر والمنطق يرى المرأة شمسا ٠٠ »
وهز رأسه ٠
ـ « لا منطق فى حديث الروح ٠ »
والتفتت اليه متحدية ٠
ـ « لو شئت أن أصفك ٠ »
وضحك ساخرا ٠
ـ « شبهنى بالقمر ٠٠ ولست قمرا ٠ »
ومالت عليه فى اثارة ٠
ـ « وتشبهنى بالشمس ؟ »
وتنسمها عبيرا يتضوع وهمس ٠
ـ « وأنت شمس ٠ »
وسرحت ببصرها بعيدا كمن شغله خاطر هام مفاجىء ثم انفجرت مزهوة ٠
ـ « وقتها يعشق القمر الشمس ٠ »
وضحكا ٠٠ واغفى بعينه فى شعرها المنسدل ، وتخيلها أشعة نورانية حانية وبزغ فى أعماقه حلم قديم وأتاه صوتها مخدرا مداعبا ٠
ـ « أعدت تسافر ٠ لماذا لا تستريح ٠٠ أراك رجعت شاردا ٠٠ »
ورد بلا وعى ووقع أقدام الراقصة يحيل الدنيا نغما راقصا ودنيا متموجة ٠
ـ « من ذاق السفر عاش سندبادا ٠٠ »
ورمت ذراعيها حوله ٠٠
ـ « وهذه السفرة ٠ »
وهمس حالما ٠
ـ « هى رحلة موشح طويل فى أزقة قرطبة العتيقة ، موشح توقعه أنامل الفلامينكو لاهثا تحت أقدامك راقصة افعوانية ٠٠٠ »

م٠ ج٠ ب٠

في منجم النار .. في منجم الماء

شعر : عبد القادر بن شرودة

هذا أنا ،،
وهناك أنت ،،
الشمس تكمن في سراج
الشمس في جوف المحار
مبثوثة في الطين
في صلصال من نهلوا من البحر الأجاج
لم يشهقوا ،،،،!!
يا للسباخ وكم تعب من الملوحة ،،،!!
ليت تلهمها البحار ..

●

ويدي إليك أمدها ،،
ريحا تسف الرمل والأشجار ،،
مدي لي يدك
عبي من السر الذي في طينتي
وتتطايري مثلي شظايا ،،،،
أو فلوحي سافره
أبثث إليك عواصف الدنيا
لتهدم معبدك
يا من أمد لها يدي
وتشيح عني كالبغي !!
تراك صرت عاهره ؟؟
أم أن فيك خلية مرتدة
بي كافره ؟؟

●

ماذا تقول عن الدماء
سريرة الطين المشاع ؟؟
بين التيوس

وحاملى الشارات من لحم البشر
ويداك ماذا تفعلان بمعولى المنهار
من طرق الحجر ؟؟
أنشبته فى السدر
فى السكوم
فاض السدر والسكوم !!
عادانى الشجر .
وهناك أنت تبرجين
وليس ثمة غير طابور الجياع ،
والشمس ، تعطى بالقروض النار
تبخل بالشعاع

●

هذا أنا ،،
وهناك أنت
الشمس تدمى
الشمس تعمى
الشمس تلجأ للمحار
والدمع لولا كبرياء الطين
أكواب
جـرار
عودى إلى بوجهك النبوى
فى زهر الربى
والجلنـار
عودى إلى ...
هذا أنا
الأجراس .. فالأجراس .. فالأجراس
ومآذن الرحمان فيك يتيمة
وأنا أدق ... فلا نعاس ...
وبكلمة من معدن النار التى لا تنطفى ،،،
وبكلمة من معدن الماء الذى لا ينثنى ،،،
سأروض الطين الذى ظنوه ميتا
لا يسأس ..

ابتسامة الوجوه الباكية

قصة ، بقلم : على الشملى

كنت أشعر بحنان غريب يشدنى اليه كلما غرست نظراتى فى عينيه وأنا محشورة فى زحمة الاجساد المتلاصقة فى ممر الحافلة الضيق ... الازدحام هو المشكل الذى يواجهنى فى كل يوم عند رجوعى من العمل الى البيت ، ومأساتى هى هذا الرباط القوى الذى جمعنى به فى الحافلة .

لم يكن يعيرنى كبير اهتمام فى البداية بالرغم من المرات العديدة التى حاولت فيها الابتسام اليه والتعبير له عن اعجابى به وافهامه بان لى من القابلية ما يسهل قيام علاقة حب برىء ضرورى بالنسبة لى على الاقل ... كنت انتظر ان يبدأ هو بالخطوة الاولى ، لكنه اكتفى بالنظر الى خلسة فى الاول ليبقى مطأطئا رأسه فيما بعد متأملا فى ما لست اعلم ، ضائعا فى عالم حزين كئيب ، هيئته المتواضعة والبراءة المتدفقة من عينيه ، والعذوبة المنسكبة من روحه كأشعة القمر الساجية تزيدنى افتتانا به وتجبرنى على مزيد الاهتمام والتحديق فيه .

ورغم ما كان يتضح لى من خلال اختلاسه النظر وبالرغم من اكتشافه لما أنا فيه من لهفة لان أحادثه وأصارحه ، فانه ظل فى تأملاته الحزينة وصمته الطويل وظللت أواجه رغبتى الملحة فى الحديث اليه شاعرة وانى فى الطريق الى الجنون وما هو أكثر من الجنون ...

الحافلة ما تزال تسير وكلما توقفت لينزل راكب ، اندفع الى داخلها جمع آخر يزيد الجو اختناقا . وعصف بى الخوف والقلق حينما فكرت فى أن العالم كله سيقف ضدى وأن أى فرد من أفراد عائلتى ، لو فكرت فى أن أبثه نجواى لأرتاح بعض الشىء ، لن يقف الى جانبى ، لن يوافقنى ، سأواجه ربما ما هو أشد وقعا فى النفس من اللوم والسخرية من الجميع حتى من أمى التى حذف لها والدى المرحوم كلمة الحب من قاموس حياتها وحياة افراد عائلتها ...

كنت أتنفس بصعوبة ، أكاد اختنق ، فانا الآن استطيع ان أحب وان أمنح الحب كله لاجعل منه أمير أحلام وشاعر نجوم وفارس أشواق ، فينقذنى مما

أنا فيه من حزن ومن تذبذب ونعيش معا أجمل قصة حب لأنسى الحرمان وأعود الى الواقع الذى كنت أهرب منه فى رحلات مع الشعر وأعاصير الشعراء ، مع الادب وبراكين الادباء ، م ع الفن وعواصف الفنانين ، لأهرب معه وحده الى الاعماق على وسادة الحب الخالد والامل الكبير ٠٠٠

نسيت الحافلة والركاب ونسيت نفسى والزمان والمكان حينما اعترضنى وهو فى طريقه الى الباب يتأهب للنزول ككل يوم ، لكنه هذه المرة وقف الى جانبى وعلى شفتيه شبه ابتسامة خجولة ذابلة وفى عينيه براءة طفل كان يبكى لفراق أم حنون ، ثم قال : « كان بودى ولكن ما الفائدة من علاقة اعرف انها حتما ستموت يوما ما » ٠٠٠

وحينما وقفت الحافلة ونزل ، لم أعلم كيف وصلت الى البيت ٠٠٠ دخلت غرفتى الصغيرة بطابعها الحزين وصورها الرمزية الباكية وبعض أثاثها القديم ، وجلست أمام الطاولة التى تكدست عليها كتب مختلفة ودواوين شعر مؤثرة ومجموعات قصصية رومانسية ٠ كنت أغوص فى أعماق الذات البشرية مع المطالعات النثرية وحينما تصل ثورتى الى حد لا يمكن لى أن أواصل معه المطالعة ، أسبح فى دنيا الشعر ٠ لم أكن شاعرة ولكنى أحببت الشعر وجعلت منه أجمل لوحة فى حياتى وأعذب لحن وأجمل سمفونية ٠ يومها لم أشعر بالحاجة الى الطعام ولا الى النوم ، ولا حتى الى القراءة ، أخذت أستعيد صورته ، وأتأمل ضياعه ، أحاول أن أجد تفسيرا لما قاله ، ربما كان شقيا من اشقياء الأرض ، كآبته موحية ، مغذية للمشاعر ، ان وراء كل ذلك ولا شك حكاية دامية ٠ قلبت ديوانا من الشعر بين يدى حاولت القراءة وضعت نوعا ما مع المعانى الساحرة والالفاظ الخلابة ، وحاولت أن أنسى ذلك الشقى ٠٠ أنا أطالع اشعار البورجوازيين الذين يعيشون دنياهم ، أصحاب املاك ، وحسابات فى البنوك ومشاريع اقتصادية ، يتصرفون فى أموال طائلة ، انتاجهم يدر عليهم الكثير من الرزق ، أصحاب وجاهة وجاه ولكنهم يكذبون ، يتاجرون بالكلمة ، مثل هذا الشاعر الذى بين يدى ديوانه ، اسمه ، ع٠ عبد الفقير ، واسم مجموعة اشعاره : « فقراء أغنياء » ٠ انه يكذب حين يقول :

أنا لست الا شاعرا فى حاضر لا يبتسم
لا أملك ما تملك الايمان اصناف النعم
أنا لا اسافر للسراب ولا أتاجر بالقيم ٠٠٠

الشعراء يقولون ما لا يفعلون ··· تركت الكتاب يتلاشى من يدى وعدت الى عالمى معه ، يجب ان يكون لى موعد معه ···

جمعتنا الحافلة من جديد ، تجاسرت هذه المرة حينما وجدت مكانا شاغرا الى جانبه وجلست، فسلم علي وتفاهمت نظراتنا أو هكذا خيل لى·كنت انتظر أية اشارة منه لكى ادخل معه الى حياته عبر الكلمات والاسئلة والاجوبة،ولكنه ظل صامتا كالعادة يختلس الى النظر من حين لآخر فأتكلف الابتسامة الحائرة · وحينما وقف واستعد للنزول وقفت معه فصفعنى بنظراته فى لفتة مفاجئة رجعت على اثرها الى مكانى ، لكنه ابتسم وطأطأ رأسه فقفزت اتطلع اليه واتبع خطاه الى الباب الامامى ووجدتنى معه فى الشارع ، أحسست فى تلك اللحظة أن العالم ولد من حولى من جديد ···

ــ لم يعد الحب كما تتصورين يا صغيرتى ، انت بريئة ظاهرة ، معك حق·

ــ كيف تتصوره أنت وكيف عرفت الصورة التى عندى عنه ·

ــ هو اليوم التزامات قاهرة واملاك وجيوب مملوءة وحسابات فى البنوك ، ومشاريع ··· انك تخطئين فى حقى ربما هى مظاهر ·

ــ أبدا لم آكن أتصور كل هذا ولن أسمح لنفسى بهذا التصور ، الحب بالنسبة لى لن يكون على هذه الصورة الوحشية الموحشة ·

ــ حساسيتى ، كبريائى ، ايمانى ، مبادئى ، كل هذا تسبب لى فى الكثير من الاتعاب والالم ·

ــ لو كنت تعلم انى أعرف جيدا ان قيمة الانسان لا تبرز فى الاطار المادى ،·· لا يجب ان تتأزم بهذا الشكل ، اعتقد انى بدأت أحبك الآن أكثر ···

رشقنى بنظراته ، قررت أن لا أجعل الفرصة تضيع منى حتى لا تكون له فكرة خاطفة عنى ، حتى لا أشقى أكثر ، أردت أن أتجاسر لكنه فاجأنى هامسا :

ــ انى أقدر عواطفك يا آنسة ، شكرا لك على ذلك ولكن ربما لا أراك بعد اليوم ، رغم ما أحسه نحوك من عطف وحب كبيرين ·

أوشكت على السقوط ، كدت أصرخ فى لا شعورى لكنى اكتفيت بالنظر اليه وهمست وكلى ألم :

ــ لماذا ؟ أهكذا وبهذه السرعة ؟

ــ صحيح أنى من أجل ان أراك تحملت الكثير وقاومت الكثير ولكنى حينما شعرت انهم بدؤوا يجرحون كبريائى ويستهزئون بأثمن ما عندى قررت الابتعاد وقدمت استقالتى من العمل ، فضلت ان أبقى جائعا على أن أمارس النفاق •

ــ غير ممكن أن لا أراك حتى وأنت عاطل عن العمل ، يجب ان نلتقى ، ان لا نبقى لعبة فى رياح الصدف •

ــ اننى اخترت هذه الطريق بكل ارادة وحرية ، ولانى كنت اعرف النهاية التى تنتظرك معى تجاهلتك المرار العديدة وكلى ألم وحيرة ، انت جديرة بكل خير وهذا الخير لن يكون لك وانت الى جانبى •••

صمت فى حرقة ، لم أدر ماذا أقول له بعد كل هذا ، لقد اكتشفت حقيقته واكتشفت عالمى المر لاول مرة وقطع على شريط احلامى :

ــ لست وحدك التى تنتمين الى بيئة غريبة ، أنا أيضا أحس بأن شعورى بالغربة يزداد يوما بعد آخر لكن الفرق بيننا هو أن المجال أمامك ما زال مفتوحا لتختارى ، فالحياة ما تزال أمامك بكل آمالها واحلامها •

كدت أصرخ فى وجهه لاقنعه بأنه هو المجال وانه هو الحياة ولكنى اقتنعت بانه عرف كل شىء وظل مع هذا مصمما على الانسحاب من أجلى أو هكذا كان يعتقد •

ــ لماذا يوجد هذا الفرق بيننا ما دام لنا نفس الشعور بالغربة والحنين ؟

ــ واقعى هو الكلمة التى ظللت اطاردها وظلت تحاصرنى فى كل مكان وهى التى تسببت لى فى اتعاب كثيرة ، ومع هذا ستبقى همى الوحيد وعزائى الذى لن اتخذ له بديلا ، لا اريد ان ادفعك معى الى مصير مجهول ربما يكون جوعا كله وحرمانا كله •

شعرت بنظراته تعزف أعذب سمفونية حب ضائع متألم فعرفت انه يعانق بأحلامه أطيافا بعيدة وانه أحد عشاق الكلمة الاوفياء •

ـ لك الغد الوضاء يا صغيرتي ، يا من ظللت العمر كله أحلم بأن تكون لى فتاة مثلك ولكن الايام قضت حينما وجدتك ان يموت حبى لك هكذا وأنا أنظر اليه وأشيعه بآلامى فى موكب جنائزى رهيب لانى فارس من فرسان الكلمـة المعـذبه ٠

تمهلت فى سيرى ، لقد تثاقلت خطواتى ، تمنيت ان ابقى معه الى الابـد لانى أدركت أنى أصبحت أحبه بلا حدود ، وأعادنى الى واقعى الأليم :

ـ من أجل أن أرى اشراقة الامل فى وجهك الجميل اخترت هذا الحـل يـا طفلتى الحالمة ، لا شك انك فهمت قصدى وبراءتى ٠

هممت أن أؤكد له من جديد انى لا أريد غيره لكننى أحسست أن الارض انشقت تحت قدمى حينما كشف لى عن حقيقة حبه للكلمة :

ـ عفوا اذا كنت لا أريد أن أعرف أى شىء آخر عنك حتى اسمك ، لكى لا أشقى أكثر فى يوم ما ، ومع هذا فانى سأهدى لـك بعض اشعـارى أيتهـا المجهولة الحبيبة فعسى أن تخفف عنك بعض ما تشعرين به ٠

ـ أنت شاعر ؟!٠

ـ نعم ومن أجل هذا كان الألم يطاردنى فى كل مكـان ، وكنت مؤمنـا بأن الحب لم يعد موجة نور سابحة فى خيال العـاشقين ففضلت الانسحـاب لانى اكتشفت حقيقة الكثيرين وقررت ان لا أمارس النفاق ، ان لا انساق مع الذين يرفضون الكلمة ويتهموننى بالفراغ والضياع ٠

تيقنت من أن الجرح فى قلبى يزداد اتساعا وعمقا ونظرت اليه فى ذهـول وأنيـن ٠

ـ مدير الشركة رفض هديتى ديوانا من الشعر وألقى به فى وجهى لذلك قدمت استقالتى من العمل ٠ ولن نلتقى بعد اليوم من أجل أن أترك لك الحياة بما فيها من سحر وأمان لان الحياة معى حتى ولو كانت كلها حبا ، جحيم وأنا لا يمكن ان ارضى لك النار والألم والجحيم ٠٠٠

ـ وحبنا ، وهذه الصدمة التى اغتالت حياتى والحيرة التى ستظل تلاحقنى اينما أكون ؟!

ـ الفقير لا يمنحك إلا الفقـر حتى ولو كان يحبك ، استطيع ان اتغـذى بالكلمات اما أنت فلا ، والمحروم حتى ولو كان شاعرا لا يهبك الا الحرمـان ، انى أشفق عليك من نفسى وحتى يبقى حبنا خالدا نزيها يجب أن لا نلتقى ٠٠

توقفت عن السير وجرت دموعى ، تذكرت كل المحرومين فى الارض ، كل البائسين ، فامسك بيدى وأطبق عليها يديه فشعرت بأن أنفاسى توقفت وأن الارض كفت عن الدوران ٠

ـ اسمى ع٠ عبد الفقير ، لعلك تتذكريننى من خلال بعض الاشعار التى ستقرئينها لى ٠

ع٠ عبد الفقير ؟!٠ لم يذهلنى الاسم ولكنى عرفت أن كل ما قرأته له قبل أن أعرفه كان صحيحا ٠٠٠ وانى كنت مخطئة فى تقديرى وحكمى٠٠٠ سقطت فى دوامة من افكار ، أصبحت لا أعرف مـاذا أقـول ٠ تـراكمت السحب فى السماء ، اظلمت الدنيا وانفجرت العاصفة وسط قلبى ٠ فتح يديه ليترك يدى المرتعشة للفراغ وافلت بسرعة دون ان ينظر الى ٠٠٠

وقفت مذهولة لحظة الى ان ابتلعه المنعرج ثم استـدرت الى المحطـة أنتظـر الحافلة ، وحينما مرت من أمامى كنت فى الطريق الى البيت راجلة ، وعـرفت انى أيضا شقية وحيدة ، وأنى سأبقى شقية وحيدة الى الابد وما بعد الابد ٠

ع٠ ش٠

الى متى ؟...

شعر : عبد الكريم القرواشي

إلى متى وأنت يا حبيبتى المهاجره
تحت الظلال نائمه ...
إلى متى تغمرك سبائخ الثلوج
إلى متى تخفين عنى خضرة المروج

* * *

إلى متى وأنت يا حبيبتى المهاجره
تحت الظلال نائمه ...
تخشين أن تكونى ...
عارية كفاجره ...
تخشين أن تداسى ...
وتلتقى المخالب على النهود الحالمه
تخشين حقد كأسى ...
وليس ملء كأسى ...
سوى دموع مرة ألقى بها الأسف
ألقت بها كلمة براحة السعف

* * *

إلى متى وأنت تبحثين عن « زهراء »
عن وردة باكية فى مدخل « الحمراء »
عن مرفأ الخروج ..
عن مركب يقوده العبيد والزنوج
عن الجوارى مزقت أطواقها الملوك
وذوبت شفاهها القوافل المهاجره
وهصرت حلماتها أنامل الجنود
وأفنت الدمع من المآقى والخدود

* * *

إلى متى وأنت يا حبيبتى المهاجره
تحت الظلال نائمه ...
ترددين هاهنا أسطورة عن « شاطبه »
عن عاشق ...
أودى به الغرام فى « شلب »
عن حانق ...
معربد يقود فى غضب
عن شانق ...
مفتخر ... يمزق العرب

* * *

أفيقى يا حبيبتى الصغيرة المهاجره
قد مرت القرون ...
وأنت ملقاة على ظل الغصون الوافره
تغمرك الثلوج ...
ويرقص من حولك العبيد والزنوج
ورفضك العنيد ، يحجب المروج
تخشين أن تكونى ...
عارية كفاجره ...
وأن يقتات جائع ...
من حلمة معطره ...
وينهل الظمآن ...

من شفة محمره ...

* * *

إلى متى وأنت يا حبيبتى المهاجره
تحت الظلال نائمه ...
غدا بطلعة الربى
سيشرق الصباح
ستنجلى الثلوج
وتهدأ الرياح
وتبسم المروج
فأنسى ملاحم الصبى ...
ولا ترددى غـدا ... أسطـورة عن
« شاطبه » ...

تستور فى 1976/1/8

ع. ق.

هجرة

قصة : بقلم محمد الصحبى الحاجى

فتح الحنفية ، فانهال عليه الماء البارد من غربال الدش ، وغمر شعره ووجهه ، ثم كامل بدنه ، اكتنفته لذة جسدية قصوى وهو يحس بالسائل المضمخ بعطر شعره ينساب فوق بشرته باردا ٠٠ ناعما ٠٠ ويتسرب الى كل مناطق بدنه ويغزو زواياه المكشوفة والمستترة ، راويا فى مسيرته تلك ، المسام العطشى المتلهفة التى كانت منذ حين تنز بالعرف الدبق ٠٠٠ شعر بالحرارة التى اختزنها بدنه فى ذلك اليوم القائظ من ايام اوت ، تنطفىء وتتبخر وتحل محلها رطوبة منعشة ٠٠ اسلم جسده للماء يفعل به ما يشاء ٠٠ وراح يتلهى يتتبع مسالك الماء ٠٠ وهو .. ينزلق نحو المأسورة ثم يختفى ٠٠٠

استطاع ان يتصور اشعة شمس الجنوب المتوهجة فى الخارج وهى تنسحق على الارض ، وعلى الازفلت ، وتتكسر على سطوح منازل القرية البيضاء الواطئة ، وتتشتت حرارة وتشيع ضوءا ساطعا يغشى العيون ، فازداد استقبالا للماء البارد ، وتمنى لو يبقى تحت الدش مدة أطول ، كى يتزود من الرطوبة المنعشة بما يكفيه لمقاومة حر يوم كامل ٠ فتح فمه وعب من الماء ما ملأ بطنه ٠

هذا هو صيف بلاده ٠٠٠ وهذه هى الحرارة التى تشوق اليها كثيرا وهو يعانى من لذعات البرد الذى لا يرحم فى المانيا ، ويتقيه ! احيانا بمعطفين ، فيضحك منه زملاؤه الالمان ٠ صيف بلاده ايضا لا يرحم ٠٠ لم لا يذهب الى الشاطىء شأن بقية خلق الله ٠ ان هذه العادة الجميلة لم تدخل فى دورة حياته الدموية ٠٠ ولا بد فى كل الحالات من سيارة ٠ وهو لا يملك سيارة ٠

فى العطلة القادمة سيشترى فولزفاغن او فورد او حتى ر I_2 ٠ لكنه لا يبيعها هنا ، على غرار ما يفعله زملاؤه ٠٠ بل سيتمتع بها ، ويمتع بها اسرته، سيحملهم على متنها كل يوم ليذوقوا نعيم الحياة الحق ٠٠ انهم مدفونون بين جدران أربعة يتنفسون الغبار الجاف وروث الدواب ، والماء القذر الملقى فى كل شارع وزقاق ٠٠ وصبح يكره قذارة قريته ٠٠٠

ضبط نفسه يتكلم بصوت مرتفع ، والماء ينثال على رأسه . ضحك من نفسه ومد يده ليقوم بتلك الحركة التى أجلها مرارا .. ادار الحنفية ... وانقطع الماء ... ظل واقفا يستقطر بدنه .. ثم تناول المنشفة وجعل يجفف جسده .. ارتدى ثيابه وخرج استقبلته نسمة لينة .. منعشة داعبت فوديه وقذاله ، هل برد الطقس ؟.. كلا ؟.. انما شعر بفعل ملامسة الهواء الجاف للبرودة التى لا تلبث ان تجف بعد وقت قصير بفعل الحرارة .

قفز فكره الى المانيا ، وتراءت له « كورت » كرمز حى لها .... كورت تتراءى له دائما ضاحكة الثغر ، منفرجة الاسارير ... انه ما يزال محتفظا بصورتها فى محفظة نقوده ، خوفا من ان تقع يد مباركة عليها فتساورها الشكوك ... كان يحملها دائما مع بقية اوراقه بحذر وكان يحس بها فوق قلبه ، فيعتريه شعور بالذنب ، وينظر الى وجه زوجته الطيب فيمتلىء قلبه شفقة عليها ... وباندفاع تلقائى يقول :

ــ ما اجمل عينيك !

وعبارات اخرى استوردها من المانية مع ما استورد من عادات جديدة ... قد تكون « كورت » هى التى لقنته اياها .. وربما ينزلق اسم « كورت » على لسانه ، فترفع فيه مباركة عينين ساذجتين بريئتين ، وكأنهما تتساءلان عن معنى كلمة « كورت » فيبتسم هو واثقا من نفسه لانه قد اعد الجواب :

ــ كورت بالالمانية معناها حلوة

وستضحك عند ذلك للاطراء ، ويحمر خداها خفرا .

ماذا يحدث لو وقعت يدها على الصورة وعرفت حقيقة علاقته « بكورت » .؟

تمزق الصورة وتقذف قطعها بعيدا ، فى حركة غاضبة ثائرة ؟

كلا ... لن تجرؤ على اتلاف شيء من امتعة زوجها . انها تقدره .. بل تكاد تقدسه .

كانت قبل ان يسافر ، تسمح لنفسها بمناقشته الحساب فى المسائل العائلية . لكنها الآن لن تجرؤ على ذلك ، فقد اضحى حسين بعيدا عنها ، لن تستطيع التطاول عليه .. حفر خيالها بينها وبينه هوة ، حشدتها بالاكبار والاحترام .. نظافته .. بشرة وجهه .. ربطات عنقه الزاهية .. نقوده

التى تملا محفظته . كل هذه الاشياء ابعدته عنها . لكنها كانت بكل ذلك سعيدة ، وكانت ايضا شقية لانها تدفع الثمن غاليا .. حرمانا دائما .

فى الليالى الاولى غداة سفر حسين لم يغش النوم عينيها ، لانها وجدت نفسها بعد عام ، وحدها فى فراش كان يشاركها فيه رجل .. كانت تتقلب عليه وقلبها فى حنجرتها . حسين اين انت ؟. وتتحسس بطنها وتقول .. ها هو ذا حسين .. وتسيل الدموع من عينيها ، حتى تبلل المخدة .. لكن ذلك .. من حسن حظها لم يدم طويلا فقد الفت فيما تلا من الايام ، الفراش والوحدة قانعة بمسامرة الآمال والاحلام .. وصار النوم ذلك الملاك اللطيف الرقيق يأتيها فيحملها بعيدا .. على جناحيه ..... الى عالم حافل بـرؤى الحب والحنان .. لكن الشوق .. الى جسد ذلك الرجل الغائب كان يتفاقم .. وتقدر المدة التى تفصلها عن اجازته المقبلة فتجدها ما تزال طويلة . مسافة من الحرمان تتراءى لها كالنفق المظلم ليس له نهاية ... فيعتريها الدوار ... « كان هنا .. يعمل ويكسب قليلا . لكنه كان هنا بقربى » .. الفقر افضل من الغربة والحرمان .. غربته هو .. وحرمانهما معا .. لا بـل حرمانهـا هى .. اما هو .. فالمانيا تعج بالنساء المليحات .. لم تشعـر مـع ذلـك بالغيرة . انهن حقا جميلات وان زوجها ــ لن يهتـ ــ لن يبهت ــ شأنه شأن الآخرين ــ امام اغرائهن وفتنتهن لم تدينه اذن ؟ لن تسمح ــ اذن ــ للغيرة ان تسمم حياتها ، يكفيها من الايام ذلك الحرمان ...... تتصوره يطوف بالشوارع والى جانبه احداهن .. اختار لها خيالها اوصافا : شقراء ذات شعر طويـل ملقى على كتفيها .. وجه مستدير ، عينان زرقوان .... واستقرت هذه الاوصاف مع الايام فى ذهنها ، وازدادت مع الحاح خيالها وضوحا حتى غدت صورة تلك المرأة حية فى ذهنها ، تكاد تلمسها وتخاطبها فتسمع جرس صوتها يهمس رقيقا فى اذنها ... من اين استقت تلك التفاصيل ؟...

اخذت تسأل ذاكرتها وتلح فى السؤال ... وتعتصم الذاكرة بالصمت .. حتى كان يوم .

انفجر الاسم فى رأسها : « نيكول » . ان التفاصيل تنطبق عـلى فـتـاة سائحة ، زارت منزل احد الجيران .

اذن ، تلك هى صديقة زوجها ، وضحكت من نفسها .. وظلت تضحك كامل اليوم وهى جذلى .. كل ذلك وهم فى وهم .. زوجها برىء من التهمة

٠٠٠ لكن خيالها مع ذلك ٠٠ لم يتخل عن الصورة ٠٠ بل ازداد تشبثا بها كرمز حي لعلاقة زوج غائب ، بامرأة أوروبية ٠

جاءتها رسائله ، وقرأتها ، واعادت قراءتها ، حتى حفظتها ، واتتها صوره الملونة ، فتفرجت عليها مرات وأرتها للقريبات ، والزائرات٠٠ ووافتها هداياه من الثياب فلبستها ٠٠٠ وبدأ تتشكل في ذهنها صورة ٠٠٠ عن المانيا ٠ انها فردوس ونساؤها حوريات وفي وسطهن النموذج الحي الذى ارتضته رفيقا لزوجها ٠٠٠ نيكول ٠٠٠

يهاجمها الحنين اليه ٠٠ فيحز في اوصالها كالسكين الحاد ٠٠ لكنها تواجه قدرها صامتة ٠٠٠ فمثيلاتها كثيرات : درعية مثلا ٠٠ سافر زوجها عنها ، ولم يمض على الزفاف اسبوع ، تركها عروسا تبكى ٠٠٠ اما هي فقد عاشت مع حسين عاما ٠ وما تزال تلك الليلة الاخيرة ، ليلة اول وداع ، عالقة بخيالها ، لن تنساها ابدا ، لقد كانت فاصلا بين عهدين ، وبين حسينين

حين عاد في اول اجازة له ، تأملته جيدا ، فالفته قد تغير ، زال عنه ذلك الاغبرار ، ولانت تلك السمرة الخشنة التى كانت تكسو بشرة وجهه ٠ وفي الليل ، حين دنا منها شمت رائحة النساء ، تتضوع من اردانه ٠٠٠ وقفز الى خيالها طيف نيكول ٠٠ ولم تشعر فيما سبق من الايام حدة حضور تلك المرأة كما شعرت بها في تلك الليلة ٠٠٠

حتى انها تساءلت : أهو لى ٠٠٠ أم لها ؟

انه لها ، على الاقل من الناحية المدنية ٠ فرحت ، وطغى فرحها على وساوسها ، لما تذكرت انه والد ابنها مراد ٠٠ مراد ! يا وردة معطارا في حديقة غناء ٠٠ يا نفحة من الله تعبق بأريج فواح يملا خياشيمها كل صباح، يذكرها بان حسينا لها الى الابد ٠٠ ليفعلن ما يشأن لن يتجاوزن السطح ، سيعود حسين في يوم من الايام ويقول : لن اعود ثانية الى اوروبا سأستقر نهائيا في أرض اجدادى ٠٠ لقد مللت الغربة ٠٠٠ والحنين اليكم ، آن الاوان لاظل الى جانبكم ٠٠ عندئذ سيكون لها وحدها ٠٠ وسينساهن جميعا ٠٠ وينسى خاصة تلك النيكول ٠

ابنها مراد ٠٠ لقد انجبته يوم زفاف ابن خالتها ٠٠ كانت حاضرة بالحفل .. أحست بألم حاد يخترق احشاءها ، ففزعت ، وأيقنت ان ساعة الوضع دقت٠ هرعت الى عمتها التى دعت احد الجيران ، فحملهما معا الى القابلة وهي تغالب الصراخ بمنديل وضعته في فمها ٠

تولت القابلة فحصها ، واعلنت ان الوضع سيتم بعد بعض دقائق ، وطلبت ملابس الوليد المنتظر ··· فعادت العمة وجاءت بملابس الوليد ، وما ان فتح لها الباب ، حتى تناهى الى سمعها صراخ حاد ، واعلمتها القابلة ان إبنة اخيها وضعت مولودا ذكرا · دخلت فوجدتها ممدة على السرير فى قلب الصالة ، وقد احاط اطفال القابلة الاربعة بالوليد فرحين واقترحوا ان يسموه مرادا ···

حكت له كل تلك التفاصيل فى الليلة الاولى ، واعادت حكايتها ، وشاهد حسين ابنه واحست بأنه هديتها الثمينة اليه ، ولن تضاهيها هدية وملأها شعور بالفخر والرضا ، ساعة رأته ينحنى على ابنه ويقبله ويقول لها انه جميل ·

وسارعت هى الى إجابته :

ـ يشبه اباه

وهمست لنفسها سعيدة : انهن لا يستطعن ان يصنعن له هدية مثل هذه . لقد غمرتها فى تلك الليلة سعادة ··· سعادة لطيفة ناعمة ·· احست بانامله الرقيقة تداعب ·· صدرها ·· وتلاطف اعصابها ·· جعلت تملأ خياشمها من رائحة زوجها

وفى الليالى الموالية ، اخبرته بكل جديد حدث فى القرية ، وكان هو ينصت ، ويعلق ، ظنت انه نسى بعض التفاصيل ، لكنها الفته كالعادة يذكر حتى اسماء الاطفال ، اذن لم يتغير حسين ·· ظل على عهدها به · لم تجد آثارا لبصمات أنثى على جسده ، لو كانت له خليلة يحبها لما اولاها كل هذا الاهتمام ولما اصغى الى احاديثها بتلك الآذان ، ولما سكب على مسامعها كل تلك العبارات الرقيقة المنغمة التى تعلمها فى المانيا ··· والتى لم يقلها قبل ان يذهب ·· لقد علمته المانيا حسن التصرف ورقة الحاسيسة ·· لن تنسى قوله :

ـ اتعرفين يا مباركة ماذا افتقدت خاصة هناك ··· عينيك السوداوين ·· فى المانيا لا توجد امرأة واحدة تملك عينين سوداوين ، وفيهما ما فى عينيك من كآبة انهن هناك ينظرن اليك مباشرة ····

لقد ملأتها تلك العبارات ثقة بنفسها ، لانها ما تزال تملك فى نظره ، رغم ان عينيه مرتا على آلاف من النساء ·· الفتنة والاغراء ·

لكن ما معنى « كورت » بالالمانية ٠٠ لو سألته لضحك منها ٠

لقد ادركت بغريزتها ان « كورت » لن تكون الا اسما الفتاة ٠٠٠ اجل ان لسانه كان ينطق بها بطريقة توحى بذلك ٠٠ « فكورت » هى خليلته اذن ، وليست نيكول ٠٠٠ وبدأ السؤال يلح عليها مع الايام حتى اقتنعت فى النهاية بأن كورت ليست الا اسما لخليلة حسين زوجها ، لقد ترددت على لسانه مرة ثانية ، وثالثة ، وفى كل مرة ، تشاهد وجهه يصطبغ بحمرة خفيفة ، سرعان ما يزول ظلها ، ويشرق وجه حسين بابتسامة كالاعتذار ، ولكنه لا يتلفظ بكلمة ٠ لن تجرؤ على سؤاله ، بدون شك ٠٠ ولن تلومه ، فهو فى كل الحالات معذور ، لكن الفضول الى معرفة شىء عن تفاصيل علاقته بها ، بدأ يستبد بها ٠٠٠ تمنت لو يحدثها من تلقاء نفسه ٠٠٠ ستشعر بالغيرة بدون شك ، ولكنها ستشبع فضولها ٠٠٠ من حكاية غرامهما ٠ وعجبت كيف يتسع قلب الرجل لامرأتين ٠ كلا لا يمكن ان يحبها ، انها عشرة جسد لا اكثر ولا أقل ٠٠ اذن فان امرأة أخرى ــ كورت تشاركها فيه !

ــ ماذا اعجبك من الهدايا ؟

صوته قد ازدادت نبراته عمقا ورنينا ٠

ــ كلها

ــ خاصة

ــ كل ملابس مراد

ــ ومن بين ملابسك انت ؟

ــ الفستان الاصفر

صمت لحظة :

ــ لقد اقتنته « كورت »

ــ من كورت ؟

ــ زميلة لى فى المعمل

كادت تقول له : عشيقتك !

ــ انتما صديقان

ــ اجل ، وتلك هديتها اليك

ــ بالطبع ، انها تعرف اسمك ، واسم مراد

ثم بعد لحظة :
ـ وشاهدت صورك
ـ هل أعجبتها
ـ جـدا
ـ احسست بها قريبة منها ٠
ـ أشكرها
ـ وانت ماذا ستهدين اليها ؟
ـ لا ادرى ٠٠ سأفكر ٠٠ هل هى جميلة ؟
ـ لا ادرى ٠٠
ـ ألديك صورة لها
صمت ٠٠٠ ربما كان يفكر فى التخلص من الاجابة
ـ اجل
قام واخرج من محفظة نقوده صورة لها ، تأملتها ، لم تكن كورت جميلة٠٠ احسست بشىء من الراحة والانفراج
ـ ما رأيك ؟
ـ لطيفة
اعاد الصورة الى مكانها
ـ اتغارين منها ؟
ـ لماذا ؟٠٠ ألم تقل أنها زميلة لك فى المعمل ؟
اطلق زفرة وقال :
ـ فى المانيا لا يستطيع الرجل ان يبقى وحده
سيحدثنى عن مغامراته ٠٠ لا مناص من ذلك ٠٠ ليتنى لم اثر هذا الموضوع انه لم يصبر ، لعله يريد تعذيبى ٠٠ على اية حال لا بد ان اتظاهر باللامبالاة ٠٠٠ ليكن ما يكون ٠

لكن قلبها كان يخفق ٠٠ ثم غلب حب الاطلاع فى النهاية على الخوف من المجهول ٠

عاد الى الكلام

ـ انهن يشتغلن معنا ، لا تفارق عيوننا وجوههن ٠٠ وانفاسهن ٠٠ تلفح وجوهنا ٠ اتسأله هل يحبها ؟ كلا ٠٠ انها مقامرة خطرة لن تجرؤ عليها ٠ واصـل :

ـ ولكنى اخترت على اية حال افضلهن ، فكورت من عائلة طيبة

ـ متـزوجـة

ـ أجـل

ـ وكيف تحمل صورة امرأة متزوجة

ـ ليست بيننا سوى الصداقة

ـ وزوجها يعرف ؟

ـ اجل لقد دعانى لعيد ميلاده

ـ ولم يقل شيئا

ـ انهم ناس متحضرون اما نحن فناس بدو فى الحقيقة ، ما تزال الغيـرة محور علاقتنا ٠

ـ انت معجب بهم

ـ اجـل

ـ ولكنك قلت مرة انهم يكرهون العرب

ـ ليسوا كلهم ٠٠ على ان ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بتفوقهم علينا ٠

استرسل كالعادة فى حديثه على المانيا بشىء من الفخـر ٠ وكانه ساهم فى بناء حضارتها ٠ ولكنه كان فى استنتاجاته حزينا مهموما يرثى لبنى جنسه ٠

من العالم ، فما يزال جنسهم اعتقادها افضل جنس ولكنها اكتأبت لاكتئاب زوجها ، غير انها لم تواصل التفكير فى هذا الهموم ٠ انها للرجال ٠٠٠ بل انصرف ذهنها الى التفكير فى « كورت » ٠٠ وفجأة اعتراها احساس باللاجدوى اذن فهو غير محتاج لى ما دامت «كورت» بجانبه تغدق عليه عطف الـروح ودفء الجسد ٠٠ والرفقة ، الم يقل انها افضلهن ؟ لم يعود الى بلده اذن ، اشوقا الى شورعها وبنيانها وناسها ؟٠ وعذبها هذا الاحساس « بالثانوية » مدة ٠٠ حتى كان يوم

ـ لقد قررت أن أحملك معى الى المانيا ٠

ـ الى المانيا ؟

ـ نعم لم افاتحك بهذا من قبل لانى كنت مترددا ، والآن اقتنعت تماما بانه لا بد من حملك معى الى المانيا ٠

ـ انا وابنى فى المانيا ؟

ـ لست الاولى والاخيرة

لم تجب ٠٠ بل انها لم تتصور انه جاد فيما يقول ، لكن وجهه كان صارما وملحا ٠

ـ سأؤجل العودة ريثما أتم الاجراءات ٠ وأعد لك جواز سفر

لم تشعر فى البداية بالرهبة وكأن تلك الكلمات لم تنفذ بعد الى المنطقة الواعية فى دماغها لكن الخوف من المجهول سرعان ما اجتاحها ٠

عاد هو الى الموضوع مرات اخرى وشرع فعلا فى انجاز الاجراءات

ـ لم فعلت كل هذا ؟٠٠

ـ لانى لا استطيع ان استمر فى العيش بعيدا عنك

كان كاذبا اذن ذلك الشعور بثانويتها ولا جدواها جعلها هذا تغفل عما ينتظرها ٠٠٠ لكن بعد ايام ادركت خطورة المغامرة التى هى مقبلة عليها ٠ ستفارق أهلها وأقاربها٠٠٠ وعالما ألفته وألفها ٠ عالما لا تشعر فيه بالغربة الزمنية او المكانية ٠٠٠ ألم يقل زوجها انهم متقدمون عنا اشواطا ٠ ستفارق بيتها وأثاثها وفراشها٠٠سيلقى بها فى عالم غريب محفوف بالمخاطر بين ناس يفكرون بطريقة مخالفة ٠٠ ويرون الحياة ٠٠٠ بعين اخرى ٠٠ عالم قال عنه زوجها انه متقدم .. وبدا لها ذلك التقدم فى صورة وحش كاسر يبتلع البشر الضعاف امثالها ٠ احست بالوحشة والعطف على المنزل الذى ستفارقه ٠٠ وعلى اثاثه المتواضع ، ليت زوجها يعدل عن حملها معه ٠٠ وتذكرت

ـ وامك ٠٠ اتتركها وحدها

ـ امى ٠٠ ستذهب الى بيت ابنتها

ـ وهل خاطبتها فى الامر

ـ بالطبع

ـ ورضيت ؟

ـ بعد ممانعة

ـ رضيت مكرهة ٠

* * *

ـ اذن ستسافرون جميعا الى المانيا

ـ نعم ولن تبقى وحدك يا اماه ·· ستذهبين الى بيت ابنتك
ـ لن اصبر على فراقكم يا ولدى ·· لم تحرمنى من مراد ؟·

شاهد الدموع تترقرق على خديها واحس بالالم يحز فى قلبه · لكنه كان لا يملك القدرة على التراجع ، لقد اعد كل شيء ·

ـ لا تحزنى يا اماه ··· سنعود فى الاجازة القادمة
ـ لم فعلت بنا كل هذا يا بنى ؟

ـ انظرى يا اماه لقد فكرت طويلا ورأيت انى لن أنجز شيئا بمرتبى ولن اتخلص من ديون منزلى الذى ابتنيته بمرتب واحد ·· وستطول بذلك غربتى ·· فاحببت ان استعين بمباركة لاقصر غيابى عن بلدى

ـ اذن فمباركة ستشتغل هناك ·
ـ اجـل

* * *

الناس يتحدثون عن سفر مباركة وزوجها والنساء يكثرن مـن زيارتهـا والحديث اليها وفى الايام القليلة التى سبقت موعد السفر ، اخذت تشتغل باعداد نفسها ، واشتغل خيالها بحشد التفاصيل ، وتكوين صورة عن المانيا· لكن ذلك لم يفض بها الى تكوين مشكل متكامل عنها · مباركة التى لم تعرف من المدن سوى المدينة المجاورة ستطير الى المانيا ·

ـ ستسافرين على الطائرة

احست بالخوف الحقيقى·· الخوف من الموت·· ستظل ساعات طويلة معلقة بين السماء والارض ·· ليتها تصاب فى الطريق بالاغماء حتى تجد نفسها فى غمضة عين هناك فى البلد الغريب ··· اخذ شبح الخطر يتضخم كلما اقترب موعد السفر حتى كاد ذلك يطغى على لوعة الفراق ·· وبدت لها الطائرة هى الاخرى شبحا مرعبا ·· صنعته يدا ذلك التقدم الوحش · وتتحـدث الـى زوجها عن خوفها فيضحك منها ويقول لها :

ـ معك حق ·· كل الناس يتهيبون ركوب الطائرة اول مرة لكنها الدقائق الاولى فقط ، وتتعودين
ـ وهل حصل لك انت ايضا ذلك ؟

ـ طبعا ٠٠ لكن بدرجة اقل ، لانى رجل

احست بفضل الرجولة على الانوثة ٠٠ وتفوق الجنس الخشن على الجنس اللطيف وتمنت لو كانت رجلا ٠٠ ان انوثتها تثقل عليها ٠٠ تمنت لو كانت على الاقل امرأة عصرية ، انهن اكثر شجاعة وخفة ٠٠ لا شك ان كوريت لا تعانى عقدة الضعف هذه ٠٠ وجرها ذلك للتفكير فى نوع الملابس التى سترتديها ٠

ـ مثلهن طبعا ٠٠ انك ستشتغلين

ـ سأشتغل ؟

ـ بدون شك

ـ أمن أجل هذا اذن تحملنى الى هناك ؟

ـ من اجل هذا وغيره

ـ لم لم تخبرنى من قبل ؟

ـ ربما لانى لست متأكدا من أنك ستشتغلين

ـ ومراد من سيعتنى به ٠

صمت ٠

ـ ما رأيك لو نتركه هنا لامى

ـ لن اوافق مطلقا لانى لا اتحمل فراق ولدى

ـ تتعودين

ـ كـلا

* * *

حل يوم السفر عادت لحسين المشاعر القديمة وجاء الاقارب يودعون ويبكون ٠٠ وفى ساعة متأخرة عادوا الى ديارهم وخلا حسين الى زوجته :

ـ تجلدى لست ذاهبة الى الجحيم ، كلها بضعة اشهر ، ونعود فى اجازة .. تذكرى ان نساء كثيرات سبقنك الى هناك ٠٠ ولم يمتن ٠

نظرت اليه بعينين مغرورقتين بالدموع ولم تجب ٠٠ واحس هو بالشفقة عليها ، منذ الغد سيكون هو الوحيد المسؤول عنها ، امسك يدها بحنان وقال لها :

ـ ستكونين الى جانبي دائما ألا يسليك هذا ! ستتعرفين على حياة جديدة وستندمجين فيها بسرعة ، وستكون لك هناك صديقات ٠٠ تذكرت طيف كورت الذى صنعته على ذوقها وتصورتها ممسكة بيدها ترعاها وتهون عليها لكن باية لغة ٠٠٠

ـ ستتعلمين الالمانية ٠٠٠ أليس هذا أمرا مدهشا امرأة قروية تتحدث بالالمانية لا يقع هذا الا فى عصرنا

ضحكت وسرى عنها ٠ وقال لها بلهجة دافئة ٠

ـ يجب ان ننام الآن لكى نصحو باكرا

استلقيا على السرير جنبا الى جنب ، واطفأ حسين النور ، وقرر ان ينام لكن النعاس تمانع عليهما همست بعد ساعة :

ـ حسين ، هل انت نائم

ـ كلا ٠٠ لم استطع النوم

ـ انا كذلك ٠٠

ـ يجب ان تحاولى ، ان امامك يوما متعبا ٠٠٠٠

صمت ، واحس بجسمها يتحرك لتنأى بعيدا عنه ، مرت ساعة ، وظن انها نائمة ، لكنه احس بالسرير يتحرك وسمعها تتنهد ٠٠٠ فقال :

« لن تنام حتى الصباح » انها سفرتها الاولى

وتذكر سفرته الاولى ٠

غدا سيقطع المسافة من جديد

نقم على نفسه لانه لم يستطع التغلب على الارق .. لكنه فرح لما استمع الى انفاس زوجته الرتيبة المنتظمة ٠٠ فايقن انها نامت ٠٠٠ لن تكون غدا شاحبة الوجه تعانى الغثيان بفعل السهر ٠

* * *

استيقظ على رنين جرس المنبه ٠ فى الوقت الذى كانت والدته تقرع الباب بعنف وتنادى حسين !٠٠ حسين !

امتلأ قلبه عطفا عليها ٠ حتى بللت الدموع اهدابه ٠ مسكينة !٠ لقد قضت الليلة دون ان يغمض لها جفن حتى لا يفوت الوقت وتمر الحافلة ٠٠ تلك هى عادتها ، كانت لا تثق مطلقا فى المنبه ولا تؤمن كثيرا بالآلات ٠

وافاقت مباركة مفجوعة ، وبقيت لحظات شاردة ثم تذكرت لما شاهدت حقائب السفر جاهزة . فنهضت سريعا وهي ترتعد غسلت وجهها على عجل وأعدت القهوة .. شربا معا ولم يأكلا شيئا آخر . قدمت له أمه قفة صغيرة فيها بيض مطبوخ ليتناولاه في الطريق ... تناول القفة ونظر اليها فأشاحت بوجهها بعيدا عنه ، وتذكر عزلتها المنتظرة ، وفاجأه خاطر سريع مخيف .. قد لا يجدها حية عندما يعود .. خفق قلبه احتجاجا حتى كاد يخرج من صدره ، لكنه تصدى لذلك الهاجس المغير بشجاعة ، وتحامل على نفسه ... عاد اليه شيء من الطمأنينة نظر الى تلك السلة الصغيرة فخيل اليه أنها تشبه والدته ، واغرورقت عيناه بالدموع وقرر ان يحتفظ بها ... ذكرى .

تجلد وتظاهر باللامبالاة حتى لا تتفطن مباركة الى ذلك فتنهار ، وتناول الحقيبتين وقال لامه .

ـ لا تتعبي نفسك يا اماه ابقي هنا

لكنها أبت كالعادة الا ان تصاحبه حتى المحطة ، ووجد لها في هذه المرة عذرا فسمح لها بأن ترافقهما ....

عندما اقبلت الحافلة وهما بالركوب اجهشت الام بالبكاء وانقضت على ابنها تلثمه ، واشفق حسين من ان يطول وقت الوداع ، فصعد الى الحافلة .

وعندما انطلقت الحافلة القى بنظرة اخيرة وراءه فشاهد طيف امه يغوص ويتلاشى في غسق الفجر ، ثم اختفى عنه .

أحس بشبه حجارة مستديرة تروح وتجيء عبر حنجرته ... كأن الشوق ولوعة الفراق قد تكلسا هناك ... فرح لما تذكر ان مباركة ومراد بجانبه ، انه يسافر لاول مرة مع عائلته .

* * *

بعد شهر علمت ام حسين ان مباركة حصلت على شغل باحد المعامل وان حفيدها مراد .. في طريقه اليها لتقوم على تربيته لان الزوجين لا يجدان الوقت للعناية بالطفل .

م. ص. ح.
18 مارس 1975

طفلة ... لا شرقية ولا غربية

شعر : محمد الشابى

لم تعد بيننا ..
هناك حدود ،
بين اثنين ... كيف
تبقى حدود ..
هذه أنت ... مثلما
أتمنى : شعر ، فى
مساكه مشدود ..
قبل هذا لم أنشغل
بك ... حتى وكأن لم
يكن لديك وجود ..
ربما كنت الآن
مبتهجا ... قد حملتنى
الأحلام ، حيث
الوعود ..
وتخيلت المستحيل ... فصار
الغول موجودا .. والصديق
الودود ...
ربما .. لكن الذى فيك ..
يغرينى ... ألا يغريك
الشذا .. والورود ؟!..
سامحينى ، إن كنت
أهواك .. جدا ، إن
عشقى الذى أتى ... لا
يعود ...
أو تدخلت فى شؤونك ..
عمدا ... فأمامى
محاسن ، وقدود ..
الصدار الصوفى ... والشعر
الأندلسى .. والمستقبل
المنشود ...
ليس ، فى الأرض : قامة ، أو
كتاب جيد ... لم تقم
عليه ردود ..
تلبسين الجيب
الطويل ... كثيرا ، فاذا
فى الأرض الشذا ...
ممدود ..
ما الذى يفعل الذى قد
رأى جيبك ... يوما ، والواقع ..
محدود ...
نحن جيل النجوى ، وجيل
التمنى .. ومتى كانت
الأمانى تجود ...
بعض حالات .. ليس أعذب
منها جنة ... أو سعادة .. أو
خلود ...
مثلا : أن تكون لى
دمية .. فيها شفاه
رهيفة ... وخدود ..

م. ش.

من الأدب الديني :

النص الكامل لقصيدة

البردة للبوصيري

بقلم : عبد الرحمان عبد اللطيف

البردة هي القصيدة الشهيرة المعروفة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية للامام شرف الدين ابى عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن صنهاج بن هلال البوصيرى المتوفى سنة 871 هـ. وقد طبعتها منذ القرن الماضي حتى اليوم عديد المطابع في المشرق والمغرب وقد وقعت نحت ناظرى كثير من تلك الطبعات فوجدتها جميعا ناقصة ثمانية عشر بيتا في الحشو دون الزيادات التي زيدت بآخرها وقد راجعت بعض النسخ على نسختين مخمستين مخطوطتين بمكتبتي فوجدت بكل طبعة نقصا بثمانية عشر بيتا كما ذكرنا ولم نر من تعرض لهذا الشأن كما لم نظفر بنسخة مطبوعة واحدة كاملة مما حفزنا الى تناول هذا الموضوع اليوم بالبيان والتفصيل والتصويب .

اننا سنتناول الحديث عن ثلاث نسخ مطبوعة للبردة لنرى الآن الفارق بين ما هي عليه والنص الصحيح الاصلي لها حسبما هو وارد بنسختي المخطوطتين المذكورتين فقد جاءت قصيدة البردة ضمن كتاب دلائل الخيرات في طبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة 1346 وابياتها في هذه الطبعة 162 بيتا . وجاءت ضمن نفس الكتاب في طبعة المنار بتونس سنة 1964 وكانت مطابقة للسابقة الا انها زائدة في اختتامها خمسة ابيات وبذلك صارت تعد 167 بيتا . واخيرا ظهرت طبعة الدار التونسية للنشر ضمن كتيب يحمل عنوان القصائد البوصيرية في مدح خير البرية يشتمل على قصائد الهمزية والبردة والمضرية والمحمدية وكانت في هذه الطبعة مطابقة للنسختين السابقتين وأبياتها 162 بيتا وكانت طبعة المنار غير مفتتحة بالبيت الاول القائل :

الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم

والى القراء الكرام بقية الابيات الساقطة من النسخ المذكورة وغيرها وارقام صفحاتها فى طبعة المنار مع بيان امكنتها بالضبط فقد سقط بيت بالصفحة الاولى مكانه بعد البيت القائل : لولا الهوى لم ترق دمعا الخ ونصه هكذا :

ولا اعارتك لونى عبرة وضنى ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيم

وفى ص 10 من طبعة المنار دائما أيضا سقط بيت آخر بعد البيت الذى يقول : فانه شمس فضل هم كواكبها الخ ونصه هكذا :

حتى اذا طلعت فى الافق عم هدا ها العالمين واحيت سائر الامم

وفى ص 11 سقط بيت ايضا بعد البيت الذى اوله كأنما اللؤلؤ المكنون ونصه هو :

تعيى العقول كلا عند رؤيته كأنما نظرت للشمس من أمم

وسقط بيتان فى ص 14 بعد البيت الذى أوله مثل الغمامة انى سار ونصهما هكذا :

ولست انسب فى ظل الغمامة من فى ظله سائر الانبياء والامم
لكن بدا نوره للشمس أخجلها فاسبلت دونه سترا من الديم

اما فى ص 16 فقد وجدت احد عشر بيتا ناقصة وذلك بعد البيت الذى أوله بعارض جاد أوخلت • وهذا فيما يلى نص الابيات الاحد عشر :

لما شكت وقعه البطحاء قال له على الربى والهضاب انهل وانسجم
فادت الارض من رزق امانتها باذن خالقها للناس والنعم
والبست حللا من سندس ولوت عمائما برؤوس الهضب والأكم
والنخل باسقة تجلو قلائدها مثل البهار على الابصار والعنم
وفارق الناس داء القحط وانبعثت الى المكارم نفس النكس والبرم
طوفان خصب أمنا كل جائحة به وما كل طوفان بمقتحم
من قبله قوم نوح اهلكوا ونجا قوم النبى بعذب بارد شبم
اذا تتبعت آيات النبى فقد ألحقت منفخما منها بمنفخم
قل للمحاول شأوا فى مدائحه هى المواهب لم اشدد لها زيم
ولا تقل لى بماذا نلت جيدها فما يقال لفضل الله ذا بكم
لولا العناية كان الامر فيه على حد السواء فذ و نطق كذى بكم

وفى آخر صفحة 23 بعد البيت الذى أوله شاكى السلاح سقط بيتان هذا نصهما :

اللابسون دروعا من جسومهم والشاهرون سيوفا من قلوبهم
ان قام فى جامع الهيجاء خاطبهم تصامت عنه اذن صمة الصمم

واخيرا فقد وجدت باحدى نسختى المخطوطتين زيادة عدة ابيات وذلك بعد البيت الواقع فى صفحة 29 من طبعة المنار ايضا والقائل : والآل والصحب ثم التابعين لهم الخ ونص تلك الأبيات الزائدة هكذا :

ثم الرضا عن رجال الله كلهم ما حن واشتاق ذو وجد الى الحرم
فى ثانى شهر ربيع قرب منتصف أرخته شكل مد عد إن ترم
قد ضاق حبلى من ادوائى على ودج أغث أغث يا الهى حرت من سقم
ضاقت بى الارض والخرق الوهى اتسعا ازل ازل كرب مضطر شج سئم
والانبياء خصوصا من سما لحجب محمدا افضل المخلوق كلهم

وأما نسختى الاخرى المخطوطة فكانت الزيادة فى آخرها لا تتفق مع هذه الا فى البيت المزيد الاول وهذا نص زيادتها كلها :

ثم الرضا عن رجال الله كلهم ما حن واشتاق ذو وجد الى حرم
ارخته بهجاء يفشو بلا الف فى أول القعدة احسبه يبن وحم
أشكوكهم فاكفنيهم واسقهم نقصا واخزهم خزى عاد الخسر مع ارم
يشكوهم اللسن وهو الآن قد صمتا نصرا على كل فظ ظالم حتم
اصلح عثاهم والا خذهم نفدت حيلات عزمى فصبرى رق من سدم
وظلمة ارنى من بعدها خنسا ينير قلبى ويجلى كدرة الظلم
يحميه او مستفيدا لان لا شمخا ومن قرى اواتى يصغى الى كلم
وقد توسلت بالمختار من جمعا مجامع الفضل حقق ظن محتشم

إن الزيادة الاولى تذكر انها كانت قد زيدت سنة 1094 هـ وذلك ما يتضمنه البيت القائل :

فى ثانى شهرى ربيع قرب منتصف أرخته شكل مد عد إن ترم

ذلك ان ارقام حروف كلمتى « شكل مد » بحساب الجمل على رواية المغاربة وشمالى افريقيا عامة تساوى 1094 وهذا تفصيل ذلك : الشين 1000 والكاف

20 واللام 30 والميم 40 والدال 4 والمجموع 1094 وأما تاريخ زيادة النسخة الاخرى فكانت سنة 1096 هجرية اى بعد هذه بسنتين وذلك ما يتضمنه البيت القائل :

أرختـه بهجاء يفشـو بـلا ألـف في أول القعدة احسبه يبن وحم

وتفصيل ذلك على رواية المغاربة في حروف ابجد المسمى بحساب الجمل هكذا : الياء من كلمة « يفشو » المضمن فيها التاريخ بعدد 10 والفاء 80 والشين 1000 والواو 6 ومجموع كل ذلك 1096 ولم يشر التخميس لهذا البيت الى تاريخ آخر ولا الابيات التي بعده اذ كان التخميس هكذا :

حمدا لمولى البرايا واسع الكنف انهى وتمم لي المقصود ذا ترف
ابياته انتسقت كالدر في صدف ارختـه بهجاء يفشـو بـلا ألـف

في أول القعدة احسبه يبن وحم

وكذلك لم يشر تخميس البيت الاول من النسخة الاخرى الى أي شيء حول هذا الموضوع وهذا نص تخميسه :

حمدا وشكرا لك اللهم من رؤف ان تم ما رمته مجلوا لمرتشف
ابرزته رابعا يجني لمقتطف في ثاني شهر ربيع قرب منتصف

ارختـه شكل مـد عـد إن تـرم

نحن قد علمنا ان الشيخ البوصيري ناظم البردة قد توفى سنة 871 هجرية وجاءت هذه الابيات من نظم بعض الناظمين لختم قصيد البوصيري رحمه الله كما أكمل بعضهم بل زاد أبياتا أخرى لختم قصيدة البردة وذلك ما يوجد في طبعة المنار التي ذكرناها وهذا نص الزيادة فيها وهي بعد البيت القائل : والآل والصحب الخ

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر الهي لكل المسلمين بما يتلون في المسجد الاقصى وفي الحرم
بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من اعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت والحمد لله في بدء وفي ختم
ابياتها قد أتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم

وهذا البيت الاخير يذكر ان عدد ابياتها 160 فى حين تعد أبياتها فى الواقع 167 بيتا وما ذلك الا دليل على زيادة هذه الابيات الخمسة الاخيرة عن الاصل وهى لم توجد بنسختي المخطوطتين وفى كل النسخ المطبوعة التى رأيتها تنتهى البردة فيها بالبيت القائل : والآل والصحب الخ غير أن نسختى المخطوطتين زادتا بيتا متحدا فيهما معا وهو القائل :

ثم الرضا عن رجال الله كلهم   ما حن واشتاق ذو وجد الى الحرم

ثم زادت كل منهما ابياتا اخرى ذكرناها آنفا

ونلفت النظر الى ان نسخة الدار التونسية للنشر وقع فيها اضطراب فى ترتيب الابيات الثلاثة الاخيرة منها كما وقع قلب وتبديل فى عجز البيتين الاخيرين منها فقد جاء فيها بعد البيت المبدوء بقوله : وأذن لسحب البيت القائل والآل والصحب الخ والصواب أن يكون بعد البيت المفتتح بقوله واذن لسحب الابيات التالية على هذا الترتيب :

ما رنحت عذبات البان ريح صبا   واطرب العيس حادى العيس بالنغم
ثم الرضا عن ابى بكر وعن عمر   وعن على وعن عثمان ذوى الكرم
والآل والصحب ثم التابعين لهم   أهل التقى والوفا والحلم والهمم

وقد وقع فى نسخة البابى الحلبى اضطراب فى البيتين الاخيرين من هذه الثلاثة ابيات وقد جاء فيها بعد البيت القائل : واذن لسحب الخ البيت الذى مبدؤه والآل والصحب الخ وليس هناك موضعه كما بينا الآن اعلاه .

ونرجو فى الختام أن تطبع البردة فى المستقبل كاملة حسبما بيناها فى هذه العجالة ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة دينه بصدق « وقل رب زدنى علما »

ع . ع .

صرخة الدماء *

قصة ، بقلم : الهادى حمودة الغزى

— II —

التقط كلمة الفرح ولد سيدنا فرددها وهو يمرق بينهم كالسهم زائغ النظر مضطرب الجسم :

« الافراح لا ، لا حضروا الاكفان يا كلاب بعثتم الزوفر امتاعكم لشراء الهم بقليبية وملأتم هنا الشوارع . تو حضروا أرواحكم ها هى فرنسا جايتكم ما تخافوش اذا كنتم رجال » .

فالتفت اليه العم أحمد متهكما :

« وأنت وجعك قلبك يا سى الشيخ آشبيك طائر كيف الصوفه ؟ خايف على التاليفون خليتو وحده ؟ »

فكركرت العمة خدوجة فى ضحكتها وضحكت عائشة ضحكة محبوسة فأجابه ولد سيدنا :

« خلنى منك يا بو الابطال ، الغزى ما عندو كان صحة الراس ، برا برا الحق بأولادك ها وينك حررت تونس اليوم وررط وررط » .

ولكن العم أحمد قذفه قبل أن يبتلعه المنعطف :

« نعم هانى لاحق بيهم وانت شد روحك لا بد يجيك نهار الشدة يا ولد حمام الغزاز يا هايل » .

فقالت عائشة : « اللطف يا عم حمد هذا الراجل باقى ما تابش عليه ربى ، سبحان الله كيف بوه » .

(*) نشر الجزء الاول من هذه القصة فى العدد الماضى من مجلة « الفكر » (ماى 1976) .

ـ « هذا ولد الكلب يقيد فى الزريعة يا عائشة بنتى » • وتدحرج العم أحمد نحو الغويرفه حيث دوى الانفجار واضحا بينما ابتلعت السقيفة عائشة والعمة خدوجة •

كانت ساحة الغويرفه محتشدا كبيرا لاطفال البلدة حيث تشكلوا فرقا فيهم من راح يقلد الشعبة فى تدريب الشبيبة على الخطوة المنتظمة • وفيهم من تجمعوا حول زعيم لهم وضعوه فوق مرتفع فراح يخطب فيهم وهم يهتفون هتافا حادا ثم يندفعون فى أصوات حماسية : « يحيا بورقيبة يحيا بورقيبة ، برلمان تونسى ، برلمان تونسى » وكان العم أحمد فى ثلة من أصحابه الشيوخ يتخللون تلك المجموعات ، هاتفين ، للصبيان مصفقين •••

وفجأة توقف ضجيج الصبيان وصياحهم ليتحلقوا حول العائدين من المظاهرة المسلحة مشبعين فضولهم بما يسمعون عن قصص المعركة • وكل ساعة تمر ترد فيها على القرية أخبار جديدة ، فهذا يقول فتحنا مراكز الجندرمة والبوليس ، والآخر يقول استولينا على دار رومى الدخان وذاك يقول أتممنا الآن تحرير قليبية ، وجئت مع أصحابى لحمل الديناميت لتحرير جبل وزدره ثم نتجه لمنزل تميم لنلتقى هناك باخواننا ، ونواصل المسيرة نحو قربة • وشغلت هذه الاخبار الاطفال فانستهم لعبهم وراحوا وراء الاخبار مندفعين فى جهات مختلفة حتى العم أحمد يبدو أن الاخبار أسكرته بدوره فضم عكازه راجعا للبلدة التى أصبحت عشية 24 جانفى أذنا واحدة وعينا واحدة ساهرة•

ومع ظلام جانفى المبكر انتهت المعركة وعاد المتظاهرون من ساحة المعركة وفى عيونهم بريق غامض مشع كذلك الغموض الذى يغطى عيون المؤمنين المجاهدين •

* * *

أصبحت حمام الغزاز فى 25 جانفى كصبيحة أحد أعيادها الدينية فالمقاهى تغص بالجالسين والحوانيت مثلها على تخمة وحديث الكل لا يخرج عن معركة أمس يفصلون لك الاحاديث تفصيلا حتى لتشعر ان كل واحد قام بما قام به وحده ولكم تعاظمت بهم نشوة الانتصار وحلاوة البطولة حين وصل بهم الحديث عما أذاعته اذاعة لندن من خبر المظاهرة • وأقبل بعضهم على بعض يتعجب من سرعة الخبر ونشره فى اذاعة بريطانيا ، وكانت أحفل المقاهى بهذه الاحاديث الطرية مقهى الشيخ ، شيخ الدعابات لا شيخ البلد ، اذ كانت هذه المقهى فى قلب حمام الغزاز وبها مذياع فيليبس أصيل ضخم يملأ المقهى دويه

فهو بالنسبة للبلدة مكمن أسرار ، وجهينة أخبار ؛ فكل خبر لا يزكيه راديو الشيخ ليس بخبر . وكان صاحب المقهى الشيخ دستوريا قديما وصديقا حميما لشيخ الدستوريين المرحوم سليم بن حمودة يرحل برحيله ويقيم باقامته فاذا جاءت ساعة الجد قال لك أنا لها ، واذا جاء وقت المزاح ملأ القلوب مسرة وبهجة فهو بحق فاكهة البلدة فى الحديث الضاحك والتنكيت البارع ولا يقل عن مذياع مقهاه فى اصطياد الاخبار واجتلاب الناس وتجميعهم من حوله فى أحاديث شائقة ، وحكايات طريفة ونوادر ضاحكة ؛ غير أن الشيخ فى هذا اليوم على خلاف عادته كان متجهم الوجه ، نافر الاسارير يصب قهواته ويوزعها فى صمت حائر ولكم تغامز عليه أصحابه ولكم عاكسوه وهو يجوس خلالهم ليفتح عليهم باب البهجة بخفة مفاكهاته ونكاته ولكنهم لا يجدون عنده غير التجاهل وقلة الاكتراث فيدعونه وشأنه ، ويقبلون عماهم فيه من أحاديث البطولة والجهاد .

وفجأة يتوقف حديث المقهى الهادر فقد بدأت اذاعة لندن نشرتها ويدخل سى حسين رئيس الشعبة فى ثلة من رفاقه يقفون الى الكنتوار فيصب لهم الصانع قهواتهم ويأخذون فى الترشف وفيما هم كذلك يدخل شيخ المقهى فيسأله رئيس الشعبة :

ـ كنت عند ولد سيدنا .
ـ كنت عند ولد خالى وخالك ـ ويضحك الشيخ ـ حملت له قهوتين .
ـ الثانية لمن ؟
ـ عنده رجل مكستم غريب .
ـ لا ، تعرفه ؟
ـ لا ، هيأته تدل على أنه من البوليس إن صدق حدسى له نظرات فاحصة خبيثة ، كان يتحدث الى ولد سيدنا فلما دخلت سكت ، وحين خرجت وتثاقلت خطواتى امام الحانوت سمعت حدة الحديث تعود . إن قلبى دائما يصدقنى وإن أذنى لم تخنى قط .
ـ رأس الفتله ماذا ؟ أتحدس بشىء ؟
ـ أظنها الطامة .
ـ كيف ؟
ـ أرسلت فى الصباح صانعى الى قليبية فلم يتجاوز سيدى بن عيسى اختطف (بترى الراديو) من البابور وعاد مصفر الوجه لما حدثه به صاحب البابور من ان الجيش الفرنسى سيصل وأنه سيمسى فى حمام الغزاز إن صدقت

الشائعات . واسترسل الشيخ فى عمله بينما تهيأ رئيس الشعبة للخروج وهو يقول لاصحابه « حسابنا إذن صحيح » . وعند عتبة المقهى توقف الجماعة ليتأملوا طائرة الاستكشاف وهى تخيط سماء حمام الغزاز من كل جهة فيقول محيى الدين : (هذه البداية استطلاع ومراقبة) .

عبد الله : والنهاية تطويق البلاد أيكون أكثر من ذلك ؟

إنهم فعلوا هذا عام 1938 إننا تعودنا والمجاهد الاكبر طمأننا على هذا ألم يقل لنا فى خطاب عام 1937 بدار الحاج حسين بن حمودة : « إنكم إذا اخترتم بورقيبة معناه اخترتم الحرية ولكن لا بد فيها من سجون ومناف وقتال » ونحن الاغزاز رضينا بهذا كله بل تعودنا عليه أفنخشى اليوم من الفرنسيين بعد أن وجهنا لهم صفعة بليغة ودرسا فى الادب واحترام التونسيين .

الرئيس حسين : نعم درس بليغ ويجب أن تتوالى دروسنا البليغة على ملاقيط الشعوب . والآن يجب أن نفكر أولا فى تجنب ضربتهم الاولى المنتظرة وبعدها يسهل العمل .

الطوار : ولكن كيف ؟

الرئيس حسين : شىء بسيط تنبيه المواطنين على أن يعمل كل واحد على الاختفاء بعيدا حيث لا تصل إليه هذه الايدى المسعورة أنا أعلم أن الفرنسيين سينقضون على بلدتنا وسيضربون بلا رأفة لانها صافية وليس بها فرنسى واحد يخشون عليه هنا ، بينما فى قليبية يتساكن الفرنسيون مع أهل المدينة فلن يضربوا إلا بحذر .

وفى الوقت الذى اكثرت الطائرات الفرنسية التحليق المنخفض بصورة مزعجة كان رئيس الشعبة حسين يدرس بمقر الشعبة وسيلة العمل والوقاية من الزحف الفرنسى المنتظر .

قال رئيس الشعبة : الامس كان نجاحنا باهرا تظاهرنا فى بلد غير بلدنا وقدمنا احتجاجنا وضربنا العدو بسلاحنا ورجعنا والحمد لله سالمين واليوم ترانا ننجح ؟ الاخبار مخيفة ونحن كما ترون حتى هذه الساعة لم نقم بأى تخطيط فماذا ترون ؟

الطوار : الذخيرة ما يزال عندنا منها الكثير ونحن لم تخفنا أمس الطائرات ولا الجندرمة ولا البوليس فكيف نخاف اليوم بعد أن زرعنا فى قلوبهم ما زرعنا .

الكاتب العام : لا تنس يا هادى ضربة الحائف ستكون من الفرنسيين قاتلة لنا يجب أن نفكر فى تأمين أهالى البلدة أولا ثم نفكر فيما بعد فى طرق العمل ٠

رئيس الشعبة : هذا صحيح ، يا طوار حالا اذهب واعلم المواطنين بقرار الشعبة وهو أن كل واحد عليه أن يفكر فى الاختفاء فالجيش الفرنسى بقليبية وقد لا تمر ساعة حتى يكون عندنا ، انهض يا طوار وابتدىء بمقهى الشيخ ٠

خرج الطوار بن حمودة مسرعا بينما رئيس الشعبة التفت الى أعضاده قائلا :

هذا موضوع انتهينا منه فماذا ترون بعد ؟

عبد السلام : إننا بدأنا ولا ينبغى أن نتراجع وها هى أخبار هجومنا عليهم وصلت اذاعة بريطانيا ٠

رئيس الشعبة : لا تنسوا الفكرة التى أعطيت هناك للجيش الفرنسى من أن حمام الغزاز هى رأس الداء ولولاها لما حصل شىء بقليبية وأن الاسلحة إنما تأتينا ، من ايطاليا ٠ على هذا الاساس اذا ما نصبنا كمائن فى مدخل البلاد أو على طريقهم بهنشير « حيدود » فلا شك أننا بأيدينا أكدنا معلومات الفرنسيين وسيعملون على تدمير البلدة تدميرا كاملا ٠

رشاد : لست معك فى هذا الرأى يا سى حسين يجب أن ننصب لهم الكمائن ونضربهم هنا وهنا وليكن ما يكون ٠

محيى الدين : نعم يجب أن لا نترك الكلاب تدنس بلدتنا النظيفة وكل ما سنلقاه منهم ليس عنا بغريب فالمجاهد الاكبر أحاطنا به علما منذ زيارته لنا سنة 1937 افنتراجع اليوم ؟ لا والله ٠

رئيس الشعبة : ما سمعته يبعث على النخوة الدستورية و لاشك أن بورقيبة يفخر بهذه النخوة ولكن كم ترانا سنقتل للعدو وكم سنحطم له من دبابة ؟ ومن بعد فما مصير بلدتنا ؟ لا تنسوا هذا اننا فى وضع يختلف عن الوضع فى قليبية ، إن فيها المواطن والفرنسى متجاوران زيادة عن المتجنسين فيها بينما والحمد لله حمام الغزاز دستورية خالصة وليس بها فرنسى أو متجنس واحد فلا شك إن تصدينا لهم فسيصدر المراقب الفرنسى اليهم الامر بدفننا أحياء ويستريحون ٠

الكاتب العام : رأيي الى رأي رئيس الشعبة ورأس مال الحزب في هذه الجهة بقاء حمام الغزاز معقلا له لا أن تمحى من الوجود ٠

محيي الدين : هذا حلو والله ، من المرسى بدأنا نجدف ، لا يا سادة فكروا في خطة أخرى ٠

رئيس الشعبة : الحل هو هذا ولا بديل له واني متشبث بهذا الموقف حتى يأتينا من الحزب ما يخالف ذلك ٠

محيي الدين : ماذا نصنع إذن نحن نريد أن نعمل ٠

عبد السلام : نعم ماذا نصنع أنكتف أيدينا ؟٠

رئيس الشعبة : كلنا نطلب الاستشهاد في سبيل الله والوطن ولكن نريد استشهادا مشرفا لا يستشهد الواحد منا حتى يقتلع أضراس العشرات من كلاب الاستعمار ٠

محيي الدين : لكن كيف ؟

رئيس الشعبة : كيف ؟ ألم نكون منكم خلايا ؟

محيي الدين : نعم ، أنا وعبد الله الحجام في خلية واحدة ٠

رئيس الشعبة : هي باقية كما كانت ومستمـرة ٠ بالامس عملت داخـل المظاهرة واليوم تعمل داخل ولاية نابل كلها والظلام دائما رداؤنـا وأنيسنـا ومن هذه الساعة لم يعد هناك رئيس شعبة واحد بل كل واحد منا رئيس في خليتـه ٠

وفي الوقت الذي أكمل رئيس الشعبة هذه الجملة فتحت احدى الطـائرات رشاشاتها في سماء البلدة فأضاف رئيس الشعبة :

« أظن العاصفة باتت على الابواب ٠ ليشتغل كل واحد منكم بما عهد إليه ، الله ينصرنا عاش بورقيبة وعاشت تونس » ٠

ونهض الجميع ، ولكن الى أين فغارات الطائرات بدأت تشتد شيئا فشيئا حتى لكأن الرصاص امطرت به السماء ونشبت الحرائق في كل ناحية وانعقد دخان الحرائق بدخان الانفجارات واختلطت أصوات الحيوانات من كلاب وبقر وخيل بصراخ الاطفال ٠

التفت رئيس الشعبة الى رفاقه في اكفهرار :

« ما هذا هل كتب علينا أن نتسمر هنا يجب أن نتحرك ، هذه الغارة لا شك يمهدون بها الى الزحف البرى وتطويق البلدة » . فى هذا الوقت بالذات تمثل أمامهم الطوار بن حمودة ليقول : « يا سى حسين طلائع الدبابات وصلت الى الحلقوم هيا اخرجوا » وانفتل كأنما ابتلعته الارض وتسلل على أثره اعضاء الشعبة فى وقت كفت الطائرات عن إغاراتها وأصبح الهجوم برا ، صمت الآذان فيه وتجمدت الاعصاب وتبلد الشعور عن الاحساس بما يحدث فقد تحولت حمام الغزاز الى حقل يهزه الزلزال وتبتلع فيه البراكين اللاهبة ما تبقى من إغارات الطيران الساحقة حتى لكان الجحيم تحولت ال ارض البلدة تنسج فى سمائها اللهيب الاسود وتنشر فى أرجائها الموت والدمار . إن المشاهد من « حمام الجبلى » « لحمام الغزاز » فى هذه الساعات الجهنمية لا يرى فيها غير كبب من الدخان الاسود ينعقد فوق سمائها فقد كان الجيش الفرنسى المهاجم يعتورها من الجنوب والشمال ويقسمها فانشطرت شطرين وعندئذ بدأ الزلزال تتضاءل حممه شيئا فشيئا الى أن توقف فقد تم التطويق ثم أعقبه الاقتحام بمساعدة العملاء وعلى رأسهم (سليم غ .) الذى كان يعرف الفرنسيين بأسماء العائلات وبمن يقبض عليه وما اذا كان من المشاركين فى المظاهرة أم لا . هكذا كانت العملية الاجرامية تتم على أرض البلدة وبهذه الطريقة تم اصطياد الوطنيين الغيورين فقد استطاع الفرنسيون بفضل العملاء أن يتعرفوا على عبد الله الحجام بمنزله فأخرج وأعدم بالغرس المقابل لمنزله كما تم اعدام شقيقته رميا بالرصاص واما محيى الدين فقد ساقوه أسيرا وأمروه بأن يهتف تعيش فرنسا ولكنه رفض وصرح فى وجوههم تعيش تونس يعيش بورقيبة فأعدموه من توه على قارعة الطريق قرب « دويرة الماء » . كان الظلام الشتوى يشتد رويدا رويدا والسكون يزداد معه روعا وإزعاجا ورئيس الشعبة فى مخبئه يلتفت الى الطوار بن حمودة ويقول : أين عبد الله يا هادى بل أين محيى الدين أتراهما انفصلا عنا بعد خروجنا مباشرة من النادى ؟ ورشاد آه أين رشاد ؟

الطوار : لم يتبعنا لا محيى الدين ولا عبد الله ولا رشاد .

عبد السلام : اطمئنا بل لنصل منذ الآن صلاة الجنازة عليهما محيى الدين وعبد الله أما رشاد فما أظنه سهلا .

ورد رئيس الشعبة منكرا : كيف لم هذا الكلام ؟

الطوار : صحيح يا سى حسين محيى الدين يقسم دائما بأغلظ الايمان أن لا يفر من فرنسى مهما كان ولا يحنى رأسه لقواد أبدا .

عبد السلام : ومثله عبد الله الحجام يا سى حسين إنه عندما كنا فى الاجتماع أسر لى بأننا اذا كنا نفكر فى الاختفاء فانه كان على أحر من الجمر يريد الرجوع الى منزله ليتربع هناك ويترشف كأس شاى من يد الزوجة المحبوبة .

رئيس الشعبة : آه ليتكما أخبرتمانى بهذا الخبر وقتئذ .
عبد السلام : وحتى لو اخبرناك فلن تستطيع أن تفعل معهما شيئا .
رئيس الشعبة : المهم أن نحاول ، إنا لله وإنا إليه راجعون كان الحذر لا ينفع فى القدر .
وينهض رئيس الشعبة فيسأله الطوار الى أين ؟
رئيس الشعبة : يجب أن نتحرك .

الطوار : نسيت وصيتك لنا ، الامر ليس سهلا يا سى حسين فرنسا يبدو أنها رمت بلدتنا بكل ما تملك من دمار .

رئيس الشعبة : ماذا نصنع إذن ؟
الطوار : تنتظر هنا ، سأتنسم الاخبار وأعود اليك .

وينطلق متسللا بينما أصوات المحركات بدت فى حالة تنبى أنها بدأت تتحرك نحو مخرج البلد .

ويشعر رئيس الشعبة بأن الوقت يمر ثقيلا مملا وهو فى قلق وحيرة ثم فى ضيق لم يستطع أن يحول نظره عن ساعته .

ـ الآن السادسة والنصف خارج يا عبد السلام .
ـ ولو ، لم يمر على توجهه غير ربع ساعة .
ـ نعم ربع ساعة فقط ولكنه .
ـ ولكنه ماذا ؟
ـ كثير يا عبد السلام ، قم معى .
ـ الى أين ؟
ـ نعود الى البلدة يجب أن أكون هناك ، أصوات المحركات انقطعت ويبدو أن المجرمين انسحبوا فماذا بقى لنا هنا ؟

وينهض عبد السلام مع رئيس الشعبة ولكنهما لم يكادا يخرجان من مكمنهما حتى كان الطوار أمامها كانت الدموع تتدفق من عينيه ويتأوه تأوها ملسوع أضناه السفر .

ـ تبكى يا هادى ، حصل ماذا ؟ ماذا فعلوا بنا ؟

ـ أبكي ، نعم يا سى حسين ولكن من أجل القهر والاعتداء لبننا خالفناك ولقناهم درسا وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

ـ لكن يا هادى لم تخبرنى ٠٠٠ دمروها ٠

ـ لا ٠

ـ الحمد لله ، خبرنى ماذا حصل ؟

ـ تسللت على حذر الى القرية عن طريق السوانى وعند شجرة الحروب العالية حضرتنى فكرة الاشراف من أعلاها ونظرت فلم أر من البلدة شيئا حيث كانت تغرق فى الدخان والظلام الا الغويرثه مدخل البلدة فقد كانت تعج بأصوات غامضة وأضواء الكميونات تكشف الكياس فتجعله كأنما هو فى وضح النهار المضبب ثم بدأت الاضواء تغور ويبتعد الضجيج وبدأ الكياس تنطفى فيه الاضواء حتى لم أعد ألمح شيئا ٠ أدركت عندئذ أن الكلاب انسحبوا فنزلت وانعطفت وراء دكان النجار ومشيت على حذر وعند منحدر سيدى عبد السلام نظرت فرأيت ولد سيدنا يكشفه ضوء المقهى الباهت ومعه (رجال كبارنا) وسمعت اسم عبد الله الحجام ومحيى الدين يتردد على ألسنتهم فاضطرب قلبى اذ ظننت أن الجيش مسكهما ـ وليته مسكهما ـ ٠

ـ تقول ليته مسكهما هل حدث لهما شىء أكبر ؟

ـ نعم يا سى حسين فى الوقت الذى هممت أن أبرز لهم لأعرف جلية الخبر إذ بالعم أحمد يتحرج منفصلا عنهم فتسمرت مكانى وعند انعطافه فى الطريق الجنوبى لحقت به مناديا : عم أحمد يا عم أحمد فتوقف الشيخ ٠

ـ شكون أنت ؟ عبد السلام والا الصادق ؟

ـ لا ، يا عم أحمد أنا الطوار ٠

ـ آه يا ولدى الحمد لله على نجاتك نادوا على اسمك يا بنى فين رئيس الشعبة ماهو لا بأس ٠

ـ لا باس يا عم أحمد ، قل لى ٠٠٠

ـ فين لاباس ؟ تهلكت الدنيا ، قتلوا محيى الدين قرب دويرة الماء ، وقتلوا عبد الله قدام داره والبقية الله أعلم ٠

ـ يا رسول الله ، الله أكبر وإنا لله وإنا إليه راجعون قتل عبد الله الحجام ومحيى الدين ٠

ـ ليس فقط يا بني هذا وثمانون غزيا ألقى عليهم القبض • منظر يابني لا انساه ، ثمانون غزيا تكسوهم الدماء كأنهم كانوا في بركة • اللهم صبرك •

ـ فيهم يا عم أحمد ، البشير وامحمدات ؟

ـ لا البشير ، ولا امحمدات ، لم يمسكوا هذه المرة الا الذين شاركوا في المظاهرة ، مع رئيس الشعبة أما الذين قدتهم الى بانبونا وفارينا فلم يخطفوا منهم سوى عبد الله ومحيي الدين الله يرحمهما •

ـ طولت عليك يا عم أحمد ومن يعرف فقد يعودون ؟

ـ هيا يا بني دبروا روسكم ، فين رئيس الشعبة ان شاء الله يكون بخير ؟

ـ ان شاء الله يا عم أحمد ، تصبح على خير •

وجئتكم الآن وكنت أخشى أن تتحركوا ولا ألتقي بكم •

رئيس الشعبة : إنا لله وإنا اليه راجعون ، « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » صدق الله العظيم •

عبد السلام : والآن يا سي حسين كيف العمل ؟

رئيس الشعبة : العمل ؟

الطوار : نعم ، الحالة خطيرة جدا وبلدتنا مهددة في وجودها •

رئيس الشعبة : إذن لا يمكن أن ندخل البلدة ولا أن نلقى النظرة الاخيرة على الاخوين الشهيدين هذا يصعب علينا في مثل هذا الظرف • ان فرنسا ستجعل حمام الغزاز هدفا لها في كل لحظة من أجل اصطيادنا •

عبد السلام : أبعد كل هذا ستبقى وراءنا •

رئيس الشعبة : حملة الجيش الفرنسي هذه فاشلة •

الطوار : كيف تقول هذا وقد قتلت لنا اثنين وأسرت ثمانين دستوريا ؟

رئيس الشعبة : ولو ، أنا طليق ، وأنت ؟

الطوار : طليق أيضا •

رئيس الشعبة : فرنسا اذن لن تستريح لبقائنا أحرارا مسكين المراقب يتصور أن حمام الغزاز ستخاف منه سيرى ، هيا يا جماعة منذ الآن سيكون التخريب واقتلاع أعين الخونة اجتماعنا الليـل بسيـدي نصر سيكـون ، والتعليمات لاصحابك يا طوار أن يلتحقوا بنا جميعا فلنتكل على الله عاشت تونس وعاش حبيبها •

(يتبـع)

هـ• ح• غ•

أستاذ بدار المعلمين العليا

مطالعات

الجغرافية البشرية للعالم الاسلامي

تاليف : أندري ميكال
عرض : المنجي الصيادي

ترمي هذه الزاوية الى التعريف بالكتب الجديدة التي صدرت باللغات الاجنبية ، والتي ليس في مقدور قارىء العربية ان يطلع عليها ومن باب أولى ان يطالعها · وهي من صنف الدراسات العلمية في مجال التاريخ الحضاري للعالم العربي الاسلامي ، في أشمل المعاني الحضارية وقد تعين تحليل محتواها بالعربية حتى يستفيد قراء هذه اللغة بما جد من مؤلفات من شأنها ان تطعم التفكير التاريخي ملتحما بالنظريات الجغرافية الحديثة ، لما يوجد من ارتباط عضوي بين المادتين ، لدى الباحثين والدارسين ، وان تثرى المصادر التاريخية باللغة العربية ، وهي بذلك تعد العدة للتخطيط لمشاريع نقل هذه الكتب الى العربية لتغذية البحوث وتجديد المناهج التاريخية ·

نضع بين يدي القارىء الجزء الثاني من كتاب أندري ميكال ، أستاذ بالسربون ، بعنوان « الجغرافيا البشرية للعالم الاسلامي ، حتى أواسط القرن الحادي عشر »(1) ، وموضوعه الجغرافيا العربية وتمثل العالم · وقد

(1) صدر الجزء الاول سنة 1967 في سلسلة الحضارات والمجتمعات ، التي تصدرها المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس (شعبة العلوم الاقتصادية بمركز الابحاث التاريخية) ، تحدث فيه المؤلف عن مصادر الجغرافيا العربية ، التي امتزجت بالادب عند الجاحظ وابن قتيبة ، ثم بدأت المشاغل العلمية تبرز عند وضع الخرائط المعروفة بصور الارض ، وتصنيف كتب الرحلات ، كعجائب الهند وكتاب البلدان لابن الفقيه ، ثم ألفت الموسوعات الجغرافية لغير اعلام الجغرافيا ، فاشتهر ابن رسته والمسعودي والمقدسي ، وظهرت المعاجم ، ثم وضعت كتب المسالك والممالك ، وهي عبارة عن مؤلفات في الجغرافيا البشرية ، اشتهر بها ابن حوقل والمهلبي والمقدسي ·

صدر فى النصف الثانى من سنة 1975 ، عن دار موتون التى تفرع نشاطها بين عاصمة هولاندة ، لاهاى ، وباريس • انه كتاب محلى بالرسوم الموثوقة يقع فى 705 من الصفحات • وقد ساعدت احدى الباحثات فى وضع فهرس للأعلام العربية والآعجمية ، وآخر للالفاظ العربية ومقابلاتها بالفرنسية ، وفهرس تحليلى (فى 105 ص) لمادة الجغرافيا ومتفرعاتها من تنجيم وفلك ونبات وحيوان وأوصاف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والدينية •

لاحظ المؤلف فى التقديم ان هذه النصوص الجغرافية يمكن استغلالها كمصدر لمعرفة العالم الاسلامى فى العهد الوسيط ، مع إجراء التحريات النقدية الضرورية يتفرع المنهاج الى تصنيف تاريخ النصوص الجغرافية (وهذا بالذات محتوى الجزء الاول) ، او الى صنع التاريخ بمساعدتها ، الواقع ان موضوع الجغرافيا البشرية يشمل جميع المواضيع التى تتصل بالحضارة (من ذلك انه اطلعنا على وصول نسيج الكتان المصنوع بسوسة الى بلدان الزنج بافريقيا السوداء ، التى دخلت شعوبها الاسلام ، ووصول السلاح المغربى كالسيف ، الذى كان مجهولا لديهم ، واستعماله مع السهم والترس والرمح) • بدأ المؤلف بالتمهيد للجزء الثانى ، فتحدث عن الارض بصفتها كائنا حيا ينمو ويتطور ، كما تمثل ذلك علماء العرب فى العهد الوسيط وقد اصطبغت النظرة العلمية بالوصف الاسطورى وبسرد عجائب المخلوقات • وذكر تقسيمهم الكون الى الاقاليم السبعة التى حددوا بها مناخات العالم ، وبينوا أن محوره إنما يقع فى بغداد مقر الخلافة ، ومن ذلك انهم خصصوا أيضا مكانا هاما لوصف مشاهداتهم والتحدث عن رحلاتهم الى الصين وكوريا والتبت والهند ؛ فنشأ لذلك أدب جغرافى وصيغت مصطلحات جديدة للتعبير عن المفاهيم والاشياء التى لها قيمة تاريخية فى ذلك العصر ، وألحوا على تبيان المعالم والقيم الحضارية لهذه البلدان • ثم ألمع أصحاب الرحلات الى افريقيا السوداء ، واصفين اياها بانها قارة قاحلة صحراوية ، يخترقها نيل مصر الخالد ، واهتموا بالمناطق التركية التى استوعبت قبائل متعددة المشارب والنحل ، وقد شابهت انماط حياتها فى الحل والترحال الاوضاع القبلية العربية ، حتى عرف الاتراك لذلك بانهم « أعراب العجم » ، ولنتذكر فى هذا الصدد رسالة الجاحظ عن مناقب الترك ، المتمثلة فى الحنين الى الاوطان والشجاعة والاستماتة فى القتال ، ثم ان المؤلف اتجه الى الحديث عن المناطق السلافية النائية بشرق اوروبا والروسيا التى زارها الرحالون

العرب • وقد اتضح لهم ان اهاليها لم تشرق عليهم بعد أنوار الحضارة ، بـل اتسمت حياتهم بجانب من الهمجية ، بخلاف ما عاينوه من أسباب التمـدن والرقى والتنظيم فى ارجاء المملكة البيزنطية التى اقتحم الاسلام عدة مناطق منها واستولى عليها ، ثم تواصل التنازع معها على الثغور ، حقبات طـويلة ، فقد لاحظ المسعودى مثلا ان مملكة الروم كانت تتمتـع دائمـا بمؤسسات متينة وتنظيم متلاحم ، تخللته لا محالة عدة اضطرابات ونكسات •

الا ان هؤلاء المؤرخين الجغرافيين لم يقـدروا على التخلص من الاسلـوب الوصفى الزاخر بالاحداث العجيبة الاسطورية التى تغذى الخيال وتجمع بـه نحو الغرابة والسحر •

على ان الشمال الافريقى الذى كان يطلب المعرفة من منابعهـا المشرقية ، والذى عرف بانه محاط بالمتوسط المعروف آنذاك ببحر المغـرب ، لم ينـل قسطه فى هذا الجزء الثانى (خصصت للمغـرب بعض صفحـات فى الجـزء الاول) ، وكـأن المـؤلف أراد أن يجـارى الرحـالة العـرب فى الشـرق ، كالاصطخرى الذى لم يعتبر المغرب على الخريطة سوى «كم الثوب » ، لا غير ، أو ابن الفقيه الذى وضعه بمثابة ذيل الطائر ، بخلاف ما حظيت به مصر من اعتبار فى العهد الفاطمى آنذاك ، فقد تواتر القول عند المسعودى وابن حوقل والمقدسى بالخصوص ، من أن مصر احد جناحى العالم ، وان القـاهرة قبـة الاسلام ، الا ان الواقع الترابى جعلهم يؤكدون بأن الصحراء حصـن منيـع للاسلام فى المغرب ، لولا ما انتابه من فتن داخلية اثارها البربر على السواحل والجبـال •

ونود فى الختام لو يهتم المؤلف بتخصيص مجال اكبر فى ابحاثه المقبلة ، لاوضاع المغرب العربى التاريخية ، خاصة وانه قد وعد باتمام هذه الدراسة واعددا كتاب ثالث ، يؤرخ فيه لاصناف الحياة فى العالم الاسلامى قاطبة •

من كناشات صاحب الفليون

① منتخبـــات

من القصص الفلسطيني

.. كتـاب في 200 صفحة ، نشره اتحاد الكتاب التونسيين بالتعاون مع وزارة الشؤون الثقافية ، وجمع فيه عشرين قصة قصيرة لعشرين كاتب قصة من فلسطين مع نبذة موجزة عن حياة كل أديب ، بجانب ملحوظـات دقيقـة وعامة سجل فيها [رشاد أبو شاور] الملامح المميزة لتجربة القصة القصيرة الفلسطينية .

وقصة القصيرة الفلسطينية لئـن كانت أقـل عمقـا من الشعـر الفلسطيني من حيث تطوره ، فهي ـ على ما يبدو ـ أكثـر طـرافة ذلـك ان الشعب الفلسطيني البطل الذى أنشأ صحفا تـوزع يوميـا مـا يقـرب من السبعين ألف نسخة ، والمتمتع بنسبة عـالية من القـراء (على أسـاس أن فلسطين كانت تستهلك 30 % من انتاج المطابع المصرية أى أكثر مما كان يباع في مصر) هو أول شعب عربي أصـدر (عـام 1935) مجلـة تختص بالقصة القصيرة وتحمل عنوان « الفجر » ، أما مؤسس هذه المجلة الرائدة التى لم تقتصر على نشر القصة المحلية ولم تنغلق أمام مقتضيات التفتح على العالم الخارجي بواسطة الترجمة عن الانكليزية والفـرنسية والـروسية فهو الاستاذ محمـد سيـف الـدين العـزوفي الايراني ، أحد رواد القصة لا في فلسطين فقط وانما في العالم العربي كله ...

ولئن توطدت القصة القصيـرة « **الملتزمة تماما** » مـع « **غسان كنفاني** » صاحب كتاب (موت سرير رقم 12) وصاحب كتاب (أرض البرتقـال) ، فالحقيقة الناصعة الوضـوح هى أن القصـة الفلسطينية قـد اتجهت منـذ « البداية الى استلهام الروح البطولية في التاريخ العربي » كما يتضح ذلك في انتاج أحد الرواد (خليل بيدس) ، من جهـة أخـرى ، يمكن الاشـارة أيضا ، الى أن الاسماء الجديدة التى ظهرت بعد النصف الاول من الستينـات من نوع (أكرم شريم) ، ومحمود شقير ، ويحيى يخلف ، ونور سرحان ، وأمين شنار وغيرهم ، والتي حققت نزوعا الى تطويـر الاشكال القصصيـة

(نواف أبو الهيجاء ، فى قصصه المنشورة أخيرا فى الآداب) ، لم تخلق فى الواقع تطويرا فنيا ، جاء من عدم ذلك أن القصة القصيرة الفلسطينية كانت منذ بدايتها الاولى تتمتع بالنضج الفنى الواضح نتيجة استفادة روادها من الشوط الكبير الذى قطعه الانتاج العالمى للقصة القصيرة ، ونتيجة تشبع الكتاب الفلسطينيين وتتلمذهم على « تشيخوف » الروسى ، و « موبسان » الفرنسى وغيرهما ، ذلك ان مجلة (الفجر) المختصة فى الانتاج والتعريف بالقصة فى فلسطين وفى العالم العربى قد قامت بجهد واضح فى الترجمة (كما أشرنا منذ قليل) ٠

والقصة القصيرة مثل بقية أشكال الادب الفلسطينى لم تنضج نتيجة ارتفاع نسبة الوسط المثقف فقط ، أو نتيجة نكبة عام 1948 وانما أيضا وبالخصوص نتيجة المناخ المأساوى والبطولى الذى عاشه الكاتب الفلسطينى ، لا سيما بعد هذا التناغم التجاوزى لنكسة حزيران بالقتال وبالكلمة القاتلة ٠٠

فى الاسطر القليلة السابقة لم نحوصل كل ما طرحه الاديب الفلسطينى الشاب [رشاد أبو شاور] من ملحوظات وانما البعض فقط تاركين للقارىء العربى حرية الاطلاع ـ رأسا ـ وربما المناقشة أيضا ، لا سيما اذا علمنا أن هذا الكاتب الفلسطينى قد دعا هو نفسه الى النقاش مع مصارحتنا بأن ما قاله ليس الا أفكارا داعية الى الحوار ٠٠

ولكن الاهم فى هذا الكتاب قطعا ، هو الخلق القصصى ذاته الذى يحتاج الى تقييم ومعايشة وتواجد ٠٠

واتحاد الكتاب التونسى بنشره لهذا الكتاب قد قام بمبادرة طريفة وهادفة على صعيد اتحادات الكتاب القطرية الاخرى فى عالمنا العربى ، وهذا لا يمنعنا من أن نلاحظ أن هذه البادرة ـ على شرف مقصدها ـ قد كان بالامكان أن تكون فى نفس الوقت « انتولوجيا » (Anthologie) محكمة الضبط ، منطلقة من دراسةعلميةمتأتية يقوم بها كاتب أو أكثر من اتحاد الكتاب التونسيين وتكون مرفوقة (لغاية المزيد من توسيع أفق التعريف بالقصة الفلسطينية فى خارج العالم العربى) ، بدراسة علمية بالفرنسية وبالانكليزية ٠٠

ولكن يكفى اتحاد الكتاب التونسيين شرفا أنه ـ على كل حال ـ قد قام فى مجال خدمته للقضية الفلسطينية بنشر هذه « المنتخبات » التى نقترح أن تنسج على منوالها اتحادات عربية أخرى ، بنشر كتب

حول الشعر الفلسطيني ، حول أدب الرواية في فلسطين ، حول المسرحية في فلسطين الخ .. الخ ..

* * *

② على هامش

(زمن الزخارف)

.. على هامش (زمن الزخارف) صديقنا الكاتب عز الدين المدني لم يقدم قراءة كلاسيكية للمجموعة القصصية الثانية للكاتب سمير العيادي وانما رفع الكثير من الالتباسات حول الادب التجريبي التونسي بوجه خاص وحول الخط المستقبلي للثقافة التونسية في مرحلته الراهنة ، بوجه عام .

الجيل الجديد الذي ينتمي اليه سمير العيادي (وبين قوسين الجيل الذي هوجم من طرف أحد أنصار الادب التقليدي بالعدد الثامن من المجلة العراقية المعروفة « آفاق عربية ») ، هو جيل يختلف عن « **الاجيال الادبية والفنية التي سبقته فلئن كان الجيل الاول (1900 ـ 1930) قد جدد الشعر وأنشأ القصة والمسرح والرواية وأخذها من الغرب جميعا وزرعها في الارض الفكرية التونسية ، ولئن كان الجيل الثاني (1930 ـ 1950) قد دعم القصة ، وركز المسرح واستوحى بعض انتاجه من التراثين الشعبي والادبي القديم ، وأخيرا ، لئن كان الجيل الثالث (1950 ـ 1960) تابعا لموجات الشرق والغرب ، وهزيل الانتاج في القصة والرواية والمسرح والشعر في معظمه مع برمجة في الطرائق الاستشرائية الخماء ، وسبب ذلك الهزال انشغاله بالكفاح التحريري وانخراطه في العمل النقابي ثم من جراء توليه المناصب ، فان الجيل الرابع قد اضطلع بتحمل مسؤولية انتاج :**

ـ أدب لا يخضع للشرق وللغرب : تونسي عربي .

ـ فكر يتضمن القيم الانسانية القارة كالحرية والعدالة ويذود عنها : خلاق ، شاب دوما ، يتحاور مع التراث ، ويراجع التاريخ ، ويحاسب مساره.

ـ فن تتجدد نظرته وأشكاله وصيغه مع تجدد الزمن ، ويأخذ أدواته من العلم والمعرفة والفلسفة : فلا يحاكي ، ولا يقلد ، ولا يقرر ، بل يبحث ، ويختبر ، ويجرب .

وطبيعى أن كافة أفراد الجيل الرابع لا يتقاسمون هذه المبادىء ، ولا يتشاركون فيها ، الا أن الكثير منهم ، ومن بينهم سمير العيادى ، أكدوا هذه المبادىء ، وجسموها من خلال أعمالهم الشعرية ، والقصصية ، والمسرحية ، والثقافية العامة » ٠

معنى هذا أن الجيل الادبى الجديد الذى كتب القصة والمسرح التجريبيين ، وكتب الشعر الرافض للوزن التقليدى والقصيدة المضادة ليس كما ذهب أحد المستخدمين للديماغوجيا من مجلة (آفاق عربية) فى عددها الثامن ، جيلا رافضا للحضارة العربية وللوجود القومى ، وانما هو - كما أكد ذلك عزالدين المدنى - جيل قد ثار ضد « **الضحالة الشخصاء المتكررة عبر السنين** » والمتمثلة فى تقليد الشرق والغرب والتراث وفى « التقريد والمحاكاة » عوض السعى الى خلق أدب تونسى عربى نابع من المعطيات « المعاشة » محليا ، عربيا ، وفى العالم ، متحاور مع التراث ، متجادل مع الفكر الغربى الزاحف ، متكامل مع محاولات اخواننا فى المشرق وفى المغرب العربيين النهوض والبناء ٠٠ والتحديث والفاعلية والتحدى ٠٠

أما التهمة الموجهة الى أدب الجيل الجديد،والمتمثلة فى زعم البعض أن الحركة الطلائعية الجديدة قد اهتمت بالشكل دون المضمون ، فالمدنى يرى أنها تهمة مزيفة ، وذلك لان كل حركة أدبية فنية جادة لا تستطيع أن تكون جادة متى سولت لنفسها عزل الشكل عن الموضوع ، وصحيح أن الحركة الطلائعية التونسية لم تصدر « بيانات » حول المضمون واكتفت باصدار « بيانات » حول الشكل ، وذلك لان الصيغة العملية الوحيدة « للقطيعة » مع نماذج الادب التونسى التقليدى هى الدعوة الى زلزلة الشكل وطرحه على الدرجة الصفر ، لاحداث التحول الكيفى فى مسار الادب وفى المفاهيم السائدة والمهيمنة والتى كانت تتقمص الاشكال الموروثة وتحشرها بالمضامين القديمة والجديدة ٠٠ والمدنى على حق عندما يذهب الى هذا ، لان الخطأ رقم واحد - فى الادب غير التجريبى فى تونس (بالخصوص) وفى الادب العربى (عموما) - هو خطأ فى نظرته الوحيدة الجانب الى المضمون ، مع عدم وعى يذكر بأهمية اقامة جدلية ثرية مع الشكل الفنى ، تطويرا له ، بما يتناسب مع التحولات المجتمعية ، ومع المتغيرات فى شكل الحضارة ٠٠

هذه بعض مسائل أثارها عز الدين المدنى على هامش المجموعة القصصية الثانية لسمير العيادى وقد تضمنت بشكل غير مباشر ردودا على نوع من

الحملة الموجهة ضد الخط المستقبلي لهذه الحركة الجديدة التي أصبحت تعاني منذ سنوات قليلة ما يعانيه الخط المستقبلي الثقافي في العالم العربي بوجه عام . فالبعض يروج اشاعات مغرضة مفادها أن هذه الحركة الادبية تريد تحطيم القوالب القديمة لانها حركة معادية للحضارة العربية ، والبعض الآخر يذهب الى حد تحريض العالم العربي بأسره ضد هذا الادب الشاب .. أما الدكتور الطاهر لبيب الجديدي فقد دافع عن هذه الحركة (بالعدد الاول من مجلة الحياة الثقافية) بقوله :

« ومهما تنوعت الآراء في هذا الادب فهو تجربة فريدة ونقطة تحول كان يجب أن تحلل عوض أن تنقد سطحيا على أنها مجرد تهديم لقيم ثقافية لغوية. ان التهديم البنوى في الادب الطلائعي تفكيك للمفهوم الكلاسيكي للثقافة عموما . وإنه يمكن التساؤل علميا ما اذا كانت الطلائعية وسيلة تعبيرية توخاها صنف من المثقفين الشباب لحل عقدة الجمود التي يعيشها ، فانه مما ينفى ان هذه الطلائعية تمثل ـ في ميدان الادب ـ أبعد تجربة الى الآن في مراجعة ضمنية للمعطيات المفهومة للثقافة في تونس » .

- **المجلة التونسية لعلوم التربية**
- العدد الثالث من السنة الثالثة

* * *

مجلة تربوية ثقافية تصدر عن وزارة التربية القومية وتمثل بعض جوانب نشاط المعهد القومي لعلوم التربية .

ـ وضعية مادتي التربية الاسلامية (دراسة لمواقف الاستاذ والتلميذ وتحليل للكتاب المدرسي . وهذه الدراسة تمثل أحد جوانب نشاط مجموعة التربية الاسلامية والوطنية المتفرعة عن وحدة التجربة والبحث لبيداغوجية التعليم الثانوي بالمعهد القومي لعلوم التربية خلال السنة الدراسية 1973 ـ 74) .

ـ **وبالجانب الفرنسي من هذا العدد من المجلة :**

ـ دراسة حول عدم التكيف المدرسي بالسنة الاولى من التعليم الابتدائي..

ـ تقييم تجربة تدريس الحسابيات فى السنة الثانية من التعليم الابتدائى ..
ـ قصص الاطفال أو كيف السبيل الى الكهولة .
ـ أداة تعيير مستوى العائلة الاجتماعى .

* * *

يدير هذه المجلة الهامة المنجى الشملى مدير المعهد ، تمتاز هذه المجلة بالاضافة الى بحوثها واستقصاءاتها ، بأركان قرائية ، وتغطيات للندوات والملتقيات ، وبتلاخيص للبحوث عربية ، فرنسية ، وانكليزية .

- **زمن الزخارف**
- **تأليف :** سمير العيادى
- **نشر :** الدار العربية للكتاب
- **الثمن :** 0،870 د. ت

* * *

سبع قصص قصيرة فى 110 صفحة ، تمثل دعما جديدا لمكتبة الادب الطليعى التونسى والعربى التى كان قد ساهم فى إثرائها سمير العيادى بمجموعة قصصية سابقة (صخب الصمت) ..

من عناوين هذه [النصوص ـ القصصية] ذات الطابع التجريبى :
ـ الشمعة قبل انطفائها .
ـ غياب حضرة الدكتور .
ـ السيف والسياف .
ـ حقد مستوحى من قصة بوليسية
الخ .. الخ ..

قدم لهذه المجموعة الثانية الكاتب عز الدين المدنى (111 ـ 122) . ونص عز الدين هو بمثابة « المانيفيست » المضاف بشكل من الاشكال الى كتابه المعروف [الأدب التجريبى] ...

- **شاعرية أبى العلاء فى نظر القدامى**
- **المؤلف :** محمد مصطفى بلحاج
- **نشر :** الدار العربية للكتاب

* * *

« بالرغم عما كتب عن أبى العلاء المعربى قديما وحديثا من دراسات تناولت مختلف نواحى الابداع عند هذا الشاعر الفيلسوف ، فانه ما تزال فجوات

كثيرة ومجالات متعددة تدعو الى الدرس والكتابة .

و « شاعرية أبى العلاء » محاولة جديدة فى بعض هذه النواحى ينتصف فيها كاتبها الى هذا الشاعر الذى لم يحظ بما يستحق من معاصريه ولا حتى من الدارسين المحدثين .

فهذه دراسة تحليلية لشعر أبى العلاء تكشف عن أساليبه المختلفة وأغراضه الكثيرة المتعددة فى المعانى والبيان والبديع » .

يقع الكتاب فى نحو 241 ص ، ويتضمن بابين :

الأول : نظرة الأقدمين الى الشاعر .

الثانى : الدراسة الفنية .

• الثمن : 2،500 د. ت

• **اتحاف أهل الزمان**
بأخبار ملوك تونس عهد الامان

• **المؤلف** : أحمد بن أبى الضياف

• **نشر** : الدار التونسية للنشر / والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر

* * *

.. طبعة ثانية للجزء الاول تنضاف الى ما أصبحت تطلع به علينا الدار التونسية للنشر فى تعاونها مع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية فى اطار كتب التراث .

من تلك الكتب الهامة نشير بسرعة الى :

① ـ [كتاب العلم] للحارث المحاسبى ، تحقيق ودراسة محمد صالح مزالى .

② ـ [الموطأ] لأبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى ، وبرواية عبد الله بن مسلمة القعنبى .

أما ، الطبعة الثانية للجزء الاول من [الاتحاف] ، فهى تقع فى 244 صفحة ، وتتضمن هذه النشرة الجديدة اصلاحا لأخطاء الطبعة الاولى ، تعريفا موجزا بمن تمس الحاجة لمعرفته من الاعلام الوارد ذكرهم فى ثنايا التأليف ، فهرسا تفصيليا لكل جزء من الكتاب ، جدولا لأهم الأحداث التاريخية المار ذكرها فى ثنايا الكتاب ؛ كذلك وقع الحاق الترجمة لأحمد بن أبى الضياف بشجرة سلف المؤلف مع وضع العناوين الفرعية ، والصور والمناظر .

• الثمن : 1،400 د. ت

الموضوع	ص
المنهج والمنطلقات فى بعض أعمال محمد مزالى ، 1212 .	
من سبل الانفتاح التربوى ، 1092 .	
من كناشات صاحب الغليون ، 1158 ، 1276 .	
ندوة حول تآليف الأستاذ محمد مزالى ، 1010 .	
همسة فى إثر قصة « بلا رجل » ، 1165 .	
وجهات نظر ، 1055 .	
يبرم ٠٠ أو المربى ، 1283 .	
ب ـ اجتماع	
الأزمة الأخلاقية فى عالم اليوم ، 961 .	
امرأتنا من خلال أمثالنا الشعبية ، 262 .	
المرأة والتنظيم العائلى ، 1038 .	
إيديولوجية تحرير المرأة ، 328 .	
حديث بوذا ، 635 .	
ظلال وأنوار فى مطلع الربع الأخير للقرن العشرين 401 .	
الطالب والحياة ، 1098 .	
مونولوج داخلى حول المرأة ، 353 .	
مناهج البناء الخلقى فى المجتمع الاسلامى الحديث ، 910 ، 1045 .	
النزعة الاجتماعية فى أدب التوحيدى، 1070 ، 1210 .	
هوامش وسوانح حول سنة المرأة ، 342 .	

الموضوع	ص
لا حرية للمرأة من دون تحرر الرجل ، 225 .	
ت ـ اقتصاد	
التعاون العربى الافريقى حاضرا ومستقبلا ، 681 .	
تنمية الموارد البشرية والتعاون الافريقى العربى 708 .	
ث ـ تاريخ	
فلسطين أرض بنى كنعان ، 13 .	
المرأة فى قرطاج ، 302 .	
المستشفيات بتونس ، 479 .	
مع ابن هانى والقاضى النعمان ، 837 .	
مقدمة ابن خلدون بين أيدى الدارسين ، 923 .	
من أطوار معركة ترقية المرأة التونسية ، 241 .	
ج ـ تراجم	
« حدى » شاعرة الصحراء ، 317 .	
محمد على الحامى بعد 50 عاما ، 126.	
معلومات جديدة عن محمد على الحامى ، 129 .	
ح ـ سياسة	
آفاق العمل العربى من أجل التحرر والتنمية ، 673 .	
الأخوة العربية الاسلامية 815 .	

الموضوع	ص
تأملات حول الحوار الافريقى العربى،	753
التحرر العربى الافريقى فى عالم الغد ،	783
دور الاذاعة والتلفزيون فى تقوية الروابط العربية الافريقية ،	797
الصهيونية وجه آخر للعنصرية ،	762
فلسطين والاستعمار التهجيرى ،	1
علاقة جدلية بين الاستعمار الاعلامى والاستعمار الثقافى ،	956
عودة الوعى ،	645
مواقف الأحزاب من حركة محمد على الحامى ،	137
هذه حالنا ،	121
وذكر !	809

خ ـ طـب

الموضوع	ص
العقل والجسم ،	855

د ـ فلسفة

الموضوع	ص
الأسس النشكونية والعضوانية لفلسفة الفارابى ،	563
الالاهيات عند الفارابى ،	541
تجديد الفكر العربى ،	202
تحقيق مخطوط للفارابى ،	575
حول تعليم الفلسفة ،	529
معنى نقد ابن رشد لنظرية الغزالى فى السببية ،	590

ذ ـ لغـة

الموضوع	ص
الانتحار لغويا ،	407
الترادف والاشتراك فى اللغة ،	1222
الترادف اللغوى ،	449
ظاهرة المزج اللغوى عندنا ،	995
المسألة اللغوية مسألة حيوية ،	1188

2 ـ شعـر

الموضوع	ص
ابن زيدون ،	959
إجازة أخرى خارج الشعر ،	885
أحلى بنات القبيلة ،	183
اذا كان يوم ،	1221
ارفعى الرأس ،	812
إرادة الحياة ،	506
أرجوحة الفرح ،	4
استمع عندما يتحدث العشاق ،	851
الاشراقات ،	1197
أغرودة الجرح والبلسم ،	914
افتتاحية الموسم الجديد	1111
إلى من يحب السلام ،	859
إلى اللقاء .. لا وداع ،	972
إلى عينيها ،	1081
الى متى ! ،	1242
أنابل لى ،	1101
أنا وشعرى ،	174
أنا « العامرى » ،	191
أنشودة عليسة ،	260
أوهام ،	854
أوس ،	990
البحث عنها عبر مدن الريح ،	628

الموضوع — ص

بيتنا المسحور ، 929 .
تبدأ الهجرة من لحم الذبائح ، 622 .
تجديد وفلسفة ، 612 .
تحت السور ، 1211 .
تحديات دون كيشوت للاحوال الجوية ، 1225 .
تحية للرئيس بورقيبة ، 154 .
تصريح حب للأرض والشعر ، 156 .
تطريز على جسد المنفى 200 .
تهويمات بدوى بدائى ، 1184 .
توقيعات على جدار العصر ، 416 .
ثورة ، 509 .
الجرح العائد ، 29 .
الجلمود الذى حطه السيل ، 1079 .
حب فى شوارع الحزن الشهية ، 80 .
حول نارى يتجمع اطفال صفد ، 11 .
الحواجز ، 288 .
دمعة على « السافى » ، 1068 .
دموع الهوى ، 1031 .
رحلة الحب والجنون ، 1144 .
ردوا لى جلد الشاة ، 906 .
الريح حريتى ، 83 .
شكوى القناة من عبور السفن الاسرائيلية ، 979 .
الصادقية ، 833 .
صرخات الاطفال القادمة من بيروت ، 196 .
الطريق إلى الخلاص من الحصار ، 614 .
طفلة لا شرقية ولا غربية ، 1257 .

الموضوع — ص

العائد ، 65 .
عزف منفرد على الكفن ، 96 .
العودة للضفاف الأخرى ، 931 .
الغدر خلف سلاح يرفع الكتبا ، 88 .
الفراشة والسور ، 1156 .
فلاح عاشق ، 501 .
فى حى بارباس فى حى بلفيل ، 459 .
فى ذكرى الشهداء ، 934 .
فى منجم النار ، فى منجم الماء ، 1234 .
قدرى ، 150 .
قراءات فى دفتر الحلم ، 31 .
قصيدتان لفلسطين ، 22 .
قل ما بدا لك ، 504 .
كتابات مصدرية ، 238 .
اللحظة الحية ، 404 .
لما خرج الحى من الميت ، 104 .
لن أعود .. لو أعود ، 106 .
مرثية شهيد ، 483 .
المرور ، 1155 .
المسجد الأقصى ، 1089 .
معزوفة الصنوبر ، 437 .
المقبلة فى هالات الحب ، 620 .
منتخبات من الشعر اليوغسلافى المعاصر ، 876 .
من جديد ، 613 .
من خلف الجراح ، 508 .
الموت أساس معادلة الفرح ، 933 .

الموضوع	ص

نبوءة شاردة ، 873 .
نور اللوز ، 1005 .
وتناثرت على جسمك ، 89 .
ودقت أجراس الغربة ، 473 .
وصية مكتوبة بالدم ، 625 .
الوقوف معها ، 490 .
وكانت ليلتى شكا ، 1095 .
يا فتاة اليوم ، 385 .

3 ـ قصة

ابتسامة الوجوه الباكية ، 1236 .
الأعراس وأصوات البنادق ، 7 .
بلا رجل ، 305 .
جزمة القلق ، 502 .
الحزن ، 189 .
حينا والوحل والعجوز التى تصيح ، 641 .
حواء تشرب الخمر مع ذى القرنين ، 76 .
خادم السلطان ، 335 .
الشنق بالأمعاء ، 66 .
صرخة الدماء ، 1103 ، 1263 .
صرخة فى العراء ، 125 .
الطبول تدق فى كل مكان ، 194 .
عبد الله انهض أيها الوقح ، 377 .
عندما تصهل الجياد ، 462 .

الموضوع	ص

الفراشة والتمثال ، 410 .
الفضيحة ، 916 ، 1019 ، 1147 .
فى الناحية الأخرى من النهر 357 .
فى القطار القديم ، 485 .
القهر ، 84 .
ليالى الفتيلة ، 1032 .
المنتمى ، 887 .
من تعب الأيام ، 383 .
موشح أندلسى ، 1229 .
هجرة ، 1244 .
وسواس قهرى ، 360 .
يمنع البكاء فى الساحات العامة ، 26 .

4 ـ لوحات

انفصام أمومة ، 239 .
الحرف السندباد ، 974 .
رحلة ، 300 .
لقاء ، 1135 .

5 ـ مسرحيات

ثرثرة على هامش العبث ، 91 .
الطبيب سيحضر من الشارع المغلق، 98 .
قد يكون .. أو يبرم 1114 .
المهرج ، 443 .

فهرس الكتاب

الكاتب	ص

— أ —

الأسود (حسن الصادق) ، 262 .

ابراهم (عبد الواحد) ، 533 ، 1180 .

ابراهيم (رضوان) ، 923 .

— ب —

بن سلامة (البشير) ، 1 ، 126 ، 230 ، 239 ، 815 ، 953 ، 1065 ، 1177 .

بن شرودة (عبد القادر) ، 88 ، 188 ، 473 ، 614 ، 906 ، 1095 ، 1234 .

بلعاوي (حكم) ، 7 .

بحري (مصطفى الحبيب) ، 29 ، 404 ، 972 ، 1079 .

براهم (محمد الحبيب) ، 66 ، 974 ، 1229 .

بوجاه (صلاح الدين) ، 91 .

بودن (محمد المنصف) ، 1222 .

بوقرة (محمد الهادي) ، 96 .

بسباس (الهادي) ، 506 ، 914 .

البوزيدي (علال) ، 513 .

بن الشيخ (حياة) ، 305 ، 654 .

بندقة (صالحة) ، 377 .

بنت البحر ، 382 .

بوهلال (مصطفى) ، 449 ، 1092 .

بن ذياب (حسن) ، 1225 .

الكاتب	ص

بن ضياف (محسن) ، 462 .

بن ميلاد (أحمد) ، 479 .

بن عياد (مراد عبد السلام) ، 485 .

بن جدو (عبد المجيد) ، 492 ، 1211 .

بنحميدة (محسن) ، 502 ، 1197 .

بن عامر (توفيق) ، 1070 ، 1201 .

بن بلقاسم (علي) ، 1098 .

بن حمودة (رفيق) ، 1138 .

باردي (محمد) ، 641 .

بوبوفيتش (راده) ، 876 .

بنتركة (العربي) ، 916 ، 1019 ، 1147

بن رمضان (حسن) ، 859 .

البرادعي (خالد محيي الدين) ، 990 .

— ت —

ترشحاني (عصام) ، 89 .

التباينية (نتيلة) ، 335 .

تيم (سعد) ، 483 .

— ج —

الجابري (محمد الصالح) ، 289 .

الجلاصي (فتحي) ، 1221 .

الجمالي (محمد فاضل) ، 961 .

— ح —

الحاجي (محمد الصحبي) ، 1244 .

حجازي (مازن) ، 26 ، 416 .

الحريري (محمد) ، 979 .

الكـــاتـب	ص
ـ خ ـ	
خريف (محيى الدين) ، 11 ، 317 ، 850 .	
خريف (محمد) ، 1052 .	
خالد (أحمد) ، 137 ، 241 ، 837 .	
الخطيب (يوسف) ، 4 .	
الخليلى (على) ، 104 .	
الخزرجى (عاتكة) ، 154 .	
الخضراوى (عائشة) ، 288 ، 509 .	
خلفة (محمد الأمين) ، 1114 .	
ـ د ـ	
درويش (سامح) ، 620 .	
الدجانى (أحمد صدقى) ، 783 .	
ـ ذ ـ	
ذهب (نافلة) ، 357 .	
الذوادى (محمود) ، 995 .	
ـ ر ـ	
رباح (وليد) ، 76 .	
رينج (بوتاملوال مادوث) ، 772 .	
رضا (نهاد) ، 929 .	
رشيد (هارون هاشم) ، 1089 .	
ـ ز ـ	
زبونة (محمد) ، 1010 .	
زوكار (الشاذلى) ، 1018 .	
ـ س ـ	
السعيد (محمود على) ، 83 ، 933 .	
السالمى (محمد الحبيب) ، 189 .	
السائحى (محمد الأخضر) ، 437 .	
ـ ش ـ	
شلش (محمد جميل) ، 65 .	
شرف (الصادق) ، 106 ـ 1005 ، 634 .	
الشـابى (محمد) ، 196 ، 238 ، 490 ، 885 ، 631 ، 1257 .	
الشابى (فضيلة) ، 459 .	
شقير (المازرى) ، 1038 .	
شعابنية (محمد عمار) ، 1111 .	
الشملى (على) ، 1236 .	
ـ ص ـ	
الصيد (نعيمة) ، 300 ، 1135 .	
صابر (محيى الدين) ، 708 .	
الصاوى (عبد المنعم) ، 723 .	
الصيرفى (حسن كامل) ، 854 .	
صبح (محمود) ، 1053 .	
ـ ع ـ	
عارف (على) ، 1184 .	
عبد اللطيف (عبـد الرحمـان) ، 1258 .	
عليان (حافظ) ، 80 .	
عبد المنعم (سليمان) ، 98 .	
عطاء الله (الشاذلى) ، 174 .	
العرف (أحمد الحاذق) ، 360 .	
عبد الملك (الهادى) ، 501 .	
عز الدين (لطفى) ، 510 .	
العشاش (الطيب) ، 606 .	
العبيدى (حمادى) ، 635 .	
العبيدى (حاتم) ، 1283 .	
علـوان (محمد الحبيب) ، 658 ، 935 .	
العيارى (الشاذلى) ، 681 .	

الكـــاتـب ص

عبد الرحمان (خير الدين) ، 762 .
عبد القادر (صلاح) ، 797 .
العريض (ابراهيم) ، 852 .
عمار (سليم) ، 855 .
عبد الباقي (ابراهيم) ، 1031 .
عبد السلام (مراد) ، 1032 .
العامري (محمد الهادي) ، 1055 ، 1165 .

ـ غ ـ

غزاوي (زهير) ، 84 .
الغزي (الهادي حمودة) ، 176 ، 260 ، 504 ، 1103 ، 1263 .
الغنوشي (عبد المجيد) ، 563 .
غالي (بطرس ـ بطرس) ، 753 .
الغزي (الحبيب) ، 887 .

ـ ف ـ

فنطر (محمد) ، 13 ، 302 .
الفرشيشي (ربيعة) ، 349 .
الفارسي (مصطفى) ، 410 .
فيالة (محمد) ، 575 .
الفاهم (علي الشافعي) ، 934 .

ـ ق ـ

القـابسي (محمد أحمد) ، 200 ، 622 .
القروي (نعيمة) ، 328 ، 353 .
القرواشي (عبد الكريم) ، 1242 .
القديدي (أحمد) ، 407 ، 956 .
قنصل (الياس) ، 612 .

ـ ل ـ

اللغماني (أحمد) 150 ، 812 .
لندة (محمد) ، 385 .

ـ م ـ

مزالي (محمد) ، 120 ، 225 ، 401 ، 529 ، 673 ، 809 .
مواعدة (محمد) ، 33 .
ماجد (جعفر) ، 129 ، 156 ، 833 ، 959 ، 1068 .
مبارك (عدنان) ، 194 .
المرزوقي (ريـاض) ، 22 ، 342 ، 613 ، 1101 .
المصلح (أحمد) ، 31 ، 931 .
المطوي (محمد العروسي) 159 .
المدني (عز الدين) ، 419 ، 860 .
المقراني (صلاح الدين) ، 508 .
المراق (عبد الكريم) ، 541 .
المرزوقي (أبـو يعـرب) ، 590 ، 1212 .
المجدوب (البشير) ، 603 ، 980 ، 1081 ، 1192 .
المناعي (مبروك) ، 628 ، 1144 .
محيي (محمود) ، 873 .
منصور (محمد) ، 910 ، 1045 .
مقداد ، 1155 .
مصمولي (محمد) ، 1158 ، 1276 .

ـ ن ـ

الناعم (عبد الكريم) ، 191 .
نصر (حسن) ، 443 .
النابلي (محمد) ، 1010 .
النجار (مصطفى أحمد) ، 1156 .

ـ هـ ـ

الهـاني (عبـد العـزيـز) ، 202 ، 645 ، 1128 .
الهادي (أحمد المختار) ، 625 .
هولة (الحبيب) ، 942 .

ـ ي ـ

يحيى عبد الالاه ، 108 .

الفهرست

العدد 10 ـ جويلية 1976 السنة الواحدة والعشرون

1 ـ الكتاب التونسي .... البشير بن سلامة
4 ـ لقاء القصاصين في الحمامات .... عبد الواحد براهم
8 ـ تهويمات بدوي بدائي (شعر) .... علي عارف
12 ـ المسألة اللغوية مسألة حيوية .... احمد القديدي
16 ـ كلمات منشورة .... البشير المجدوب
21 ـ الاشراقات (شعر رامبو) .... ترجمة محسن بنحميدة
25 ـ النزعة الاجتماعية في أدب التوحيدي (2) .... توفيق بن عامر
35 ـ تحت السور (شعر) .... عبد المجيد بن جدو
36 ـ المنهج والمنطلقات في بعض اعمال محمد مزالي .... أبو يعرب المرزوقي
45 ـ إذا كان يوم (شعر) .... فتحي الجلاصي
46 ـ الترادف والاشتراك في اللغة .... محمد المنصف بودن
49 ـ تحديات « دون كيشوت » للأحوال الجوية (شعر) .... حسن بن ذياب
53 ـ موشح اندلسي على نغمة الفلامينكو (قصة) .... محمد الحبيب براهم
58 ـ في منجم النار .. في منجم الماء (شعر) .... عبد القادر بن شرودة
60 ـ ابتسامة الوجوه الباكية (قصة) .... علي الشملي
66 ـ إلى متى ؟ (شعر) .... عبد الكريم الفرواشي
68 ـ هجرة (قصة) .... محمد الصحبي الحاجي
81 ـ طفلة لا شرقية ولا غربية (شعر) .... محمد الشابي
82 ـ النص الكامل لقصيدة البردة للبوصيري .... عبد الرحمان عبد اللطيف
87 ـ صرخة الدماء (قصة) .... الهادي حمودة الغزي
97 ـ الجغرافيا البشرية للعالم الاسلامي (مطالعات) .... المنجي الصيادي
100 ـ من كناشات صاحب الغليون (مطالعات) .... محمد مصمولي
107 ـ ندوة القراء
109 ـ بريد القراء
113 ـ أصداء الفكر

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول

محمد مزالي

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**

سكرتير التحرير : **عبدالواحد براهم**

الادارة 13 نهج دار الجلد ـ تونس

تلفون : 200.237

الحساب الجاري : 33769 ـ تونس

العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهري أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوي :

اشتراك عادي بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .

اشتراكات بالخارج 3،500 ثلاثة دنانير ونصف

اشتراك الانصار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب في حسابها الجاري : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »

صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR - Revue mensuelle culturelle 21• Année N• 10 Juillet 1976

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم ـ تونس